

فَرِيدُ الْأَنْصَارِي

الَّذِي هُوَ الصَّلَاةُ



وَالسُّجُودُ لِلَّهِ بَابُ الْفَرَجِ !

دَارُ السَّلَامِ

للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

كافة حقوق الطبع والنشر والترجمة محفوظة

لِلنَّاشِرِ

دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

لصاحبها

عبدلغادر محمود البكار

الأنصاري، فريد.

الدين هو الصلاة والسجود لله باب الفرج /

تأليف فريد الأنصاري. - ط ١ - القاهرة:

دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة،

[٢٠٠٩ م].

١٠٤ ص: ٢٠ سم.

تدمك ٢ - ٧٩٦ - ٣٤٢ - ٩٧٧ - ٩٧٨

١ - الصلاة (إسلام).

أ - العنوان.

٢٥٢,٢

الطبعة السابعة

١٤٣٩هـ / ٢٠١٨م

بطاقة فهرسة

فهرسة أثناء النشر إعداد لجنة المصرية العامة لدار

الكتب والوثائق القومية - إدارة الشؤون الفنية

دار السلام

الطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

ش.م.م

تأسست الدار عام ١٩٧٣م وحصلت

على جائزة أفضل ناشر للتراث لثلاثة

أعوام متتالية ١٩٩٩م، ٢٠٠٠م،

٢٠٠١م هي عشر الحائزة تتويجاً لعقد

ثالث مضي في صناعة النشر

جمهورية مصر العربية - القاهرة - الإسكندرية

الإدارة: القاهرة: ١٠ شارع أحمد أبو العلا - المتفرع من شارع نور الدين بهجيت -

الموازي لامتداد شارع مكرم حبيب - مدينة نصر

هاتف: ٢٢٨٧٣٢٤٦ - ٢٢٧٠٤٢٨٠ - ٢٢٧٤١٥٧٨ (٢٠٢ +)

فاكس: ٢٢٧٤١٧٥٠ (٢٠٢ +)

المكتبة: فرع الأزهر: ١٢٠ شارع الأزهر الرئيسي - هاتف: ٢٥٩٣٢٨٢٠ (٢٠٢ +)

المكتبة: فرع مدينة نصر: ١ شارع الحسن بن علي متفرع من شارع علي أمين امتداد شارع

مصطفى النحاس - مدينة نصر - هاتف: ٢٠٨٠٢٨٧٦ (٢٠٢ +)

فاكس: ٢٠٨٠٢٦٨٠ (٢٠٢ +)

المكتبة: فرع الإسكندرية: ١٢٧ شارع الإسكندر الأكبر - الشاطبي بجوار جمعية الشبان المسلمين

هاتف: ٥٩٣٢٢٠٥ فاكس: ٥٩٣٢٢٠٤ (٢٠٣ +)

بريدياً: القاهرة: ص.ب ١٦١ الغورية - الرمز البريدي ١١٦٣٩

البريد الإلكتروني: info@daralsalam.com

موقعنا على الإنترنت: www.daralsalam.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فَهْرِسُ الْمَحْتَوَاتِ

﴿٩﴾

٥	الهِرَاءُ
٧	مُقَدِّمَةٌ
١٩	البيان الأول
٣٤	البيان الثاني
٣٧	البيان الثالث
٤٢	البيان الرابع
٤٤	البيان الخامس
٥١	البيان السادس
٥٣	البيان السابع
٥٥	البيان الثامن
٥٩	البيان التاسع
٦١	البيان العاشر
٦٣	البيان الحادي عشر
٦٦	البيان الثاني عشر
٧١	البيان الثالث عشر
٨٠	البيان الرابع عشر

٨٥ البيان الخامس عشر
٩١ البيان السادس عشر
٩٥ خاتمة جامعة
٩٩ السيرة الذاتية للمؤلف

الهدوء

إلى جموع الشباب والكهول..
 الباحثين عن لمعة من أمل..
 إلى الحيارى الضارين في التيه..
 الباحثين عن مَشافي الروح..
 المثقلين بجراح الذنوب مثلي..
 هذا بابُ الفرج: الصلاة..!
 حق الله العظيم على الناس أجمعين.
 فاكشف الحجاب يا صاح وادخل!
 يتدفق عليك شلال النور بالرحمة والسلام!
 محبكم: فَرِيدُ الْأَنْصَارِيِّ

سورة الصلاة

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ① ﴾

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ② الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ③ مَلِكِ يَوْمِ
الْذِيْقِ ④ إِيَّاكَ تَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ⑤ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ⑥
صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ⑦ ﴿

آمين!

مُقَدِّمَةٌ

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد ألا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده؛ حتى أتاه اليقين.

أما بعد؛ فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار!

ثم أما بعد؛ فهذه رسالة في فريضة الصلاة جمعت مادتها من كتاب الله تعالى، ومما صحَّ من سنة رسول الله ﷺ، قصدت بها بيان عظمة الصلاة، وحقيقة قدرها عند الله جلَّ علاه، وما كان عليه رسول الله ﷺ وصحبه من قيام بحقها، ثم مدى الخسارة الدنيوية والأخروية اللاحقة بتركها وتضييعها!

وجدير بالذكر أن موضوع هذه الرسالة الصغيرة، هو نفس موضوع كتابنا: «قناديل الصلاة»، إلا أن هذا الأخير اعتمد

الأسلوب الأدبي في عرض مادته، وامتنى الكلمة المجنحة لبلوغ غايته. وغالب الذين يتفاعلون مع هذا الخطاب إنما هم الذين يتعاطون الأدب، أو يتذوقون لغته. بينما هذه الرسالة مبنية في عرض مادتها على الأسلوب التقريري المباشر، الذي يتذوقه كل القراء بكل اختصاصاتهم. ولعل النفع بمثل هذا أقرب وأعم إن شاء الله. ولذلك فقد جعلت الحديث النبوي الشريف أساس خطابها، ومرتکز أهدافها، وصنفت نصوصه ضمن تراجم تلخص رسالاتها وبياناتها، على طريقة المحدثين. ومعلوم أن موضوع الصلاة أخرى وأجدر، بأن يُقَرَّبَ إلى الناس بكل الأساليب وبكل الوسائل واللغات.

هذا، وإنما جمعت ما جمعت من عزيز نصوصها، وقيدت ما قيدت من عظيم أسرارها؛ تذكرةً لنفسي - أولاً - بحق الله العظيم ﷻ! وما ينبغي لها إزاءه من العبودية والخضوع، ثم إنقاذاً لها من غفلتها وغفوتها في طريق العمر المحدود؛ سيراً إلى الله جلّ ذكره وثناؤه. رسالة أخاطب بها نفسي أولاً؛ عسى أن أرجع إليها بالمعالجة؛ كلما أنكرتُ حالي مع ربي، واستثقلتُ خطوي في سيري إليه تعالى، متخلفاً عن ركب العابدين، كلما قيل: (« سَبَقَ الْمُفْرَدُونَ ») قالوا: وما المفردون يا رسول الله؟ قال: « الذاكرون الله كثيراً والذاكرات! » (١).

(١) رواه مسلم.

رسالة أتزود منها ما أرجو أن ينفعني عندما يجتدُّ الجدد،
وأوضِعُ على شفير قبوري وينصرف عني كل شيء إلا عملي!
وتبدأ مسيرة السؤال والجواب، من اللحظة الأولى بعالمِ
الْبَرْزَخِ إلى يوم الحساب!

ولقد علمتُ من كتاب اللّٰه يقينًا أنه لن ينجو أحدٌ - بعد
رحمة اللّٰه وعفوه - إلا بما قَدَّمَ من عملٍ! ﴿ وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ
إِلَّا مَا سَعَى ﴿٣٦﴾ وَأَنْ سَعْيُهُ سَوْفَ يُرَى ﴿٣٧﴾ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى ﴿٣٨﴾
وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ أَلْسِنَةٌ ﴿ [النجم: ٣٩-٤٢].

ثم علمتُ يقينًا أنه لا نجاةَ بأيِّ عملٍ - مهما كان! - إن
لم يكن العبدُ قد قَدَّمَ بين يديه فريضةً الصلاةَ كاملةً! ثم
عَرَضَهَا على ميزان اللّٰه فلم يلفظها! ولم تُرَدَّ عليه كَسِيحَةً
مُنْكَسِرَةً! ويكون صاحبها من الخاسرين! فَوَاهَا! وَاهَا من
ذلك اليوم ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا
وَأِنْ كَانَتْ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ حَرْدَلٍ آتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَسِيبًا ﴿
[الانبيا: ٤٧].

فيا نفسي المغرورة!.. ألا وإنه لا وَزْنَ لعمل يومئذ
لم يُبَيِّنَ - بعد الإيمان - على صِلَاةٍ صحيحة! فماذا تُغني
العلوم والفهوم؟ وماذا تغني المناصب والألقاب؟ وما تنفع
الأعمال والأموال؟ إن لم يكن العبد عبدًا للّٰه حقًا، قائمًا بحق
ربه العظيم؛ ساجدًا وراكعًا، خاشعًا وخاضعًا؟ ﴿ أَمَنْ هُوَ قَنِيْتُ

ءَانَاءَ الْيَلِّ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي
الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿ [الزمر: ٩].

ثم هي رسالةٌ خاطبتُ بها - بالتبع - جموعَ الحيارى
والمغمومين، من الشباب والكهول، ممن ضاقت عليهم
الأرض بما رَحُبَتْ، فحاصرهم الخوف، وطاردهم القلق،
وحطمهم اليأس والقنوط! إما بسبب خسارة في المال،
أو فقدان لجأه أو منصب، أو غرق في أحوال الخطايا
لا يستطيعون فكأكًا، أو فشل عمومًا في الحياة! وبدل أن
يلتجئوا إلى الله، يرمون في أحضان الضلال ويضيعون في
التيه، يعالجون الداء بالداء! ويطفئون لهيب العطش بالرمضاء!
فلا يزيدهم ذلك إلا رَهَقًا! ولو رفعوا أبصارهم قليلًا إلى
السماء لشاهدوا شلالات الروح تتدفق بالرحمة والسلام!

كَالْعَيْسِ فِي الْبَيْدَاءِ يَفْتُلُّهَا الظَّمَا
والماءُ فَوْقَ ظُهُورِهَا مَحْمُولٌ!

يعانون ويألمون.. وهاهنا بوابة الصلاة الخضراء، مفتوحة
على جمال الأنس بالله، ويقين الثقة به تعالى، واستمداد
الأمان منه جَلَّ ثناؤه، وتَلَقَّى بشائر النصر والتمكين والفتح
المبين! فالصلاة تُحرر الإنسان من مخاوفه وأحزانه وأوهامه،
وتسلحه بحفظ الله وتأيده.

فَالرَّبُّ شَكُورٌ رَحِيمٌ، وَمَلِكٌ جَوَادٌ كَرِيمٌ! وبَابُ الرَّحْمَنِ
مفتوح لكل من طرقة، من المحسنين والمذنبين سواء، لا يرد

الرحمن أحدًا! قال سبحانه: ﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ
وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُ لَكُمْ خُلْفَاءَ الْأَرْضِ ۗ إِنَّهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا
نَذَكَّرُونَ ﴾ [النمل: ٦٢]، وقال جل ثناؤه: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ
عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا
لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٦].

ففي الصلاة يستند العبد إلى ربه الملك العظيم، الذي
بيده خزائن السماوات والأرض، وهو على كل شيء وكيل،
ويشاهد أن ما من شيء في ملكوت السماوات والأرض
إلا وهو مملوك له، خاضع لجلاله العظيم! فعندما يدخل
العبد في الصلاة يدخل في حِمَاهُ ﷻ، ويتلقى من أنوار أسماائه
الحسنى ما يجعله غنيًّا بالله قويًّا به تعالى، ويزود من
مقامات الجمال والجلال ما يملأ قلبه أملًا وفرحًا بالله،
فيشعر أنه « عبد الله » حَقًّا؛ فتتجدد حياته، وتَسْبُبُ
عزيمته؛ فإذا هو ينطلق إلى الحياة من جديد، بِقُوَّةٍ جديدة،
وقوة تَهْدُ الجبال الرواسي!

ثم هي رسالة خاطبتُ بها أيضًا طائفةً من الناس في هذا
الزمان، انقلبتُ عندهم المفاهيم والتصورات، وغلبتُ فيهم
العاداتُ على العبادات! انخرطوا في أعمال من (الخير والبر) -
زعموا - وتركوا الصلاة، أو تهاونوا في أدائها! عجبًا...! ماذا
حدث لهذه الأمة في عقلها؟ ولقد صَحَّ الحديثُ النبوي
في أن: (أَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الصَّلَاةُ! فإِنْ

صَلَحَتْ صَلَحَ لَهُ سَائِرُ عَمَلِهِ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَسَدَ سَائِرُ عَمَلِهِ! (١).

فإذا تنفع صَدَقَةٌ، أو زكَاةٌ، أو صِيَامٌ، أو حَجٌّ، أو عَمْرَةٌ، أو ذِكْرٌ، أو جِهَادٌ... إلخ؛ والواقعُ أن الأحمق لا يصلي أصلاً؟! ولقد وجدنا كثيراً من الناس يصوم رمضان، فيظل النهار كله منقطعاً عن شهوتي البطن والفرج، فلا يفطر حتى يَأْذَنَ له الأذان؛ وهو مع ذلك لا يصلي لله ركعة واحدة! فأبي جهلٍ عظيم هذا، وأي دين؟! تلك أعمال، نعم؛ ولكنها ﴿ كَرَامٍ بِقِيَعِهِمْ يَحْسَبُهُ الظَّمْثَانُ مَاءً حَقًّا إِذَا جَاءَهُ، لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ [النور: ٣٩].

ورأيتُ عَجَبًا آخَرَ من قوم آخرين، انتسب بعضهم (للذاكرين) بزعمهم؛ لا تفتأ أصابعهم تُعَدُّ من حبات السبحة آفاقاً مُؤَلَّفَةً من الأوراد والأذكار، ويشدون الرحال إلى مجامعها شَدًّا؛ وهم لا يعلمون للصلوات المكتوبات وقتاً ولا عَدًّا! ولا يعرفون لها قِبْلَةً ولا قَصْدًا! يتكلمون في حقائق المعاني، ومعارج الروح - زعموا - ويُنادي الأذان بعد الأذان فلا يستجيبون!... يا ويلهم! ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ ﴾ [المرسلات: ٤٨]. فإن فعلوا نقروها نقر الغراب!

(١) رواه الطبراني في الأوسط، والضياء عن أنس مرفوعاً. وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، والسلسلة الصحيحة.

ثم هي رسالة خاطبتُ بها شبابًا تضخمتُ عندهم بعض المفاهيم في الدين على حساب أخرى، وتصدرت في ميزان أولوياتهم الفروعُ المؤخراتُ في شرع الله على حساب الأصولِ المقدماتِ المؤكِّداتِ! فتجد العشرات منهم يحرقون أعمارهم الليل والنهار بمجادلات ومهاترات واستعراضات! وإذا نودي للصلاة كانوا كأن في آذانهم وقرًا!

ومنهم مَنْ إذا صَلَّى في ملاء من الناس وعلى مرأى منهم؛ صلى صلاة (استعراضيةً)، وإذا خلا بربه العظيم نَقَرَهَا بين يَدَيْهِ نَقْرًا وانصرف! ويجهل الأحمق أنه لن ينجو بكل تلك الفقاعات والفزاعات الكاذبة إن لم يَنْجُ بِصَلَاتِهِ أَوْلًا! وإن كثيرًا من الناس - ممن لا صَلَاةَ لهم بِمُسْمَى « الحركة الإسلامية » - ينجون إن شاء الله بِمُجَرَّدِ صَلَاتِهِمْ! وكفيك من ذلك الحديثُ الصحيحُ المليحُ من قول النبي ﷺ: « أَتَانِي جِبْرِيلُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ! إِنَّ اللَّهَ ﷻ يَقُولُ: إِنِّي قَدْ فَرَضْتُ عَلَى أُمَّتِكَ خَمْسَ صَلَوَاتٍ! فَمَنْ وَافَى بَيْنَ عَلَى وَضُوءِنَهُنَّ وَمَوَاقِيَتِهِنَّ وَرُكُوعِهِنَّ وَسُجُودِهِنَّ؛ كَانَ لَهُ عِنْدِي بَيْنَ عَهْدٍ أَنْ أُدْخِلَهُ بَيْنَ الْجَنَّةِ! وَمَنْ لَقِينِي قَدْ انْتَقَصَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَلَيْسَ لَهُ عِنْدِي عَهْدٌ! إِنْ شِئْتُ عَذَّبْتُهُ وَإِنْ شِئْتُ رَحِمْتُهُ! »^(١) تلك هي الحقيقة الأخروية الكبرى! ولكن ما

(١) رواه الطيالسي، ومحمد بن نصر في كتاب الصلاة، والطبراني، والضياء في المختارة؛ =

أشد ظلمات التيه في فتن هذا الزمان!

وإنما كان ذلك الانحراف بسبب تحكم الأهواء في مقاصد الأعمال، والافتتان بالأضواء الإعلامية المُبْطِلَةَ للأقوال والأفعال!

وبحب النفس لسماح ما ينتج عن ذلك كله من قيل وقال! وقد صح عن النبي ﷺ أن « مَنْ سَمِعَ سَمَعَ اللَّهُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ! »^(١).

من أجل هذا وذاك؛ جمعتُ نصوصَ الصلاةِ بهذه الورقات؛ عسى أن تكون لي تذكرةً خاصة، أستعين بها في خاصة أمري، وعسى أن ينفع الله بها من لم يتسنَّ له الاطلاع على مثل محتواها، مما ضَمَّتُهُ إليها من الحقائق الشرعية، والمقاصد التعبدية، التي جعلها الله في هذه العبادة العظمى، بما لها من شمول عجيب، جامع لكل حقائق الإسلام، من العقائد توحيداً وإخلاصاً؛ إلى سائر أصناف العبادات أصولاً وفروعاً! مما يجعل أداءها على وجهها الحقيقي كافياً - بإذن الله - أن يسلكَ بالعبد مسلكَ النجاة يوم القيامة، ويجعل الاجتهاد في نوافلها يرتقي به إلى الدرجات العليا، من

= عن عبادة بن الصامت. وصححه الألباني في صحيح الجامع، والسلسلة الصحيحة.
(١) رواه البخاري. والمقصود بالتسميع هنا: قُضِيَ المرءُ أن يسمع الناس ما يقوم به من عمل؛ لما فيه من العُجْب والرياء والسُّنْعة، فيفضحه الله على رؤوس الأشهاد يوم القيامة؛ فلا يقبل له عملاً! نسأل الله تعالى العافية.

منازل الصّٰدِقِيْنَ وَالْأَوْلِيَاءِ حَقًّا! كما سيأتي بيانه بدليله
إن شاء الله .

وقد يخطر ببالك وأنت تقرأ هذه الكلمات ما يَسْتَشْكِلُهُ
بعضهم وهو: كيف تُنْجِي الصَّلَاةُ صَاحِبَهَا وَرَبِمَا فَسَقَ مَعَهَا
وَفَجَّرَ؟ وَرَبِمَا عَطَّلَ زَكَاتَهُ وَمَا حَجَّ وَلَا اعْتَمَرَ...؟! إلخ.
والجواب إنما هو بكلمة واحدة: من صَلَّى حَقًّا مَا فَسَقَ
وَلَا فَجَّرَ! وَاقْرَأِ الْحَقَّ مِنْ قَوْلِ الْحَقِّ تَعَالَى: ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ
إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ
وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٥]. ولقد فصلنا هذا المعنى في
موطن آخر، على قدر ما يسر الله لنا ^(١) وإنما نقول لك هاهنا:
صَلِّ يَسْتَقِمُ أَمْرُكَ كُلُّهُ! ظَاهِرُهُ وَبَاطِنُهُ؛ لِأَنَّ (الصَّلَاةَ
تَرَكُّ كَمَا هِيَ فَعْلٌ). إن كنت تصلي حَقًّا؛ فأنت تارك لكل
منكر من الكبائر والموبقات! من مثل الشرك بالله، وقتل
النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال
اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات
الغافلات، وكذا تناول المحرمات من المطاعم والمشروبات؛
كأكل الميتة، والدم، ولحم الخنزير، وما أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ،
وشرب الخمر أم الفواحش، وسائر المسكرات والمخدرات،
والسقوط في المحرمات من المعاملات؛ كالظلم، والغصب،

(١) لنا تفصيل لهذا المعنى في كتابنا (بلاغ الرسالة القرآنية) لمن شاء الاستزادة.

وشهادة الزور، وأكل أموال الناس بالباطل، والقمار،
وسائر المنكرات! وجامع ذلك كله قول الله تعالى:
﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِإِتِّمَامِ الصَّلَاةِ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ
وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٥]. فأبصر
كيف أن الله تعالى أسند فعل النهي للصلاة نفسها! كأنها
هي ذاتها شخص معنوي، في حياة نبي مرسل يؤدي مهمته
التبليغية، أو عبد مصلح يقوم بوظيفته الإصلاحية! فلنُعِدِ
التلاوة ولتتدبر: ﴿ لِإِتِّمَامِ الصَّلَاةِ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ
وَالْمُنْكَرِ ﴾ [العنكبوت: ٤٥] عجيب!

إن معنى « أَنْ تُصَلِّيَ »: هو أن ترحل عن خطاياك إلى
الله.. تخرج من دركات العادة إلى درجات العبادة. وهذا
كلام يعبر عن حقائق إيمانية، لا يعلم مدى عمقها في نفس
العبد المصلي إلا الله؛ إذ تتحول الأذواق وتبدل، يتغير
طعم المنكر في قلبك فلا تستحليه. ويتبدل ذوق شهوات
الحرام من الرغبة إلى الغضبة! وتصبح خلقاً آخر! أبصر
ثم أبصر! فإن الصلاة تصنعك! نعم، إنها ﴿ تَنْهَى عَنِ
الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴾ [العنكبوت: ٤٥] هل غلبتك الفاحشة
ولم تستطع التخلص منها؟ هل أنت مدمن على خطيئة ما؟
دواؤك واحد: صَلِّ! تقول لي: إنني أصلي.. لا، لا! صَلِّ!
فإنك لا تصلي حقاً! ﴿ لِإِتِّمَامِ الصَّلَاةِ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ
وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٥] صَلِّ تجد

أن ما كان يأسرك من المحرمات بالأمس، ويملاً عليك قلبك نزوةً ورغبةً، فلا تستطيع التخلص منه؛ هو من أبغض الأشياء إليك اليوم! إن القرآن سيف قاطع، إذا قطع القول في حقيقة فلا مِراءَ بعدُ! ولقد قال الحقُّ كلمته: ﴿فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنْتُمْ تُصِرُّونَ﴾ [يونس: ٣٢].

إن الصلاة سفر من الأرض إلى السماء؛ فأتى لمنازل السلام أن تصطدم بنوازل الحرام؟ أبداً، لا شهود للدرجات في تنانة الدَرَكَات! (١).

ذلك أن الصلاة - إذا أُدِّيَتْ بشروطها وعلى وجهها - عبادةٌ عميقةٌ، موضوعة للإصلاح الشامل للنفس الإنسانية في سيرها إلى الله، والرُّقِيَّ بها بما يجعل العبد على أعلى درجات الكمال في التعرف إليه تعالى. وذلك دَبْدَنُ الأنبياء والصُّدِّيْقِينَ فيها كما سترى بحول الله؛ ولذلك كانت الصلاة هي الدين كل الدين!

ومن هنا جعلنا العنوان الرئيس لهذه الرسالة - كما رأيت - (الدين هو الصلاة!) على غرارِ قول النبي ﷺ: «الحجُّ عَرَفَةٌ!» (٢) لبيان المركزية الكبرى لذلك الركن من

(١) من كتابنا: «بلاغ الرسالة القرآنية» بتصرف.

(٢) رواه أحمد، وأصحاب السنن الأربعة، والحاكم، والبيهقي، عن عبد الرحمن ابن يعمر مرفوعاً. وصححه الألباني في صحيح الجامع، والإرواء، وصحيح سننهم. كما صححه الشيخ شعيب الأرنؤوط في تحقيق المسند.

أركان الحج. فكذلك الصلاة كانت أعظم أعمال الإسلام بعد الإيمان! حتى أمكن أن يقول القائل على نفس الوِزَانِ: «الإسلام هو الصلاة!» وهذه حقيقة كبرى تقوم عندنا على حجة قاطعة وبرهان! لكنها حقيقة غفل عنها اليوم كثير من الناس، من الخاصة والعامة! وذلك لِمَا ذُكِرْتُ من أسباب؛ حتى في نفسي أن الصلاة إذن في حاجة إلى إعادة اكتشاف؛ بل إن الدين نفسه في حاجة إلى اكتشاف! وإلى نفخ غبار المعلومات التقليدية عنه، وتحريره من الفهوم المسكوكة! مما يسيطر حتى على بعض أهل العمل الإسلامي! وعليه؛ فإنني أعرض هذه الحقائق الساطعة، مما تلخص لديّ يقيناً، حول مركزية الصلاة في الإسلام؛ وذلك من خلال تقديم بيانات واضحة، قائمة على محكم الآيات، وصريح الأحاديث الصحيحة، مما لا مجال لتأويله أو تغييره، معتمداً منهج المحدثين في عرض مادتهم العلمية، وذلك بالاكْتِفَاءِ بتقديم تراجم فقهية مختصرة، بين يديّ كل مجموعة من النصوص الدالة على كل قضية من قضايا الصلاة؛ عسى أن تباشر الآيات والأحاديث نفسها إقناع المتلقي بمراد اللّٰه من دينه. ومن ثم فقد عرضنا ما تحصل لدينا من نصوص في ستة عشر بياناً، هي:

البيان الأول

في كون الإسلام هو الصلاة...!
وأن الصلاة هي أوجب الواجبات
بعد الإيهان، وأفضل الأفعال وأكدها!



وذلك باعتبار أنها - بعد الشهادتين - أساس أركان الإسلام، وأنها أفضل أعمال الدين على الإطلاق! ومن هنا أمكن صياغة القاعدة التالية: (مَنْ لَا صَلَاةَ لَهُ فَلَا دِينَ لَهُ!) وإليك بيانها من الكتاب والسنة، وهو كما يلي:

إن الصلاة هي الغاية التي من أجلها خلق الإنسان ابتداءً! وهذه حقيقة قرآنية كبرى! فالكون كله بذراته ومجراته دائر في فلك العبادة، ركوعًا وسجودًا لله الواحد القهار، قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴾ [الحج: ١٨]. ثم إن قوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦] إنها هو الصلاة! نعم للعبادة مفهوم

شامل؛ ولكن الصلاة أشمل! فبالصلاة يكون العبد عابداً لله بكل شيء، وبغيرها لا يكون عابداً له بأي شيء! بل بدونها يكون كافراً أو عاصياً له في كل شيء! ولذلك فقد كان أول مؤاخذه ذكرها الكفار على أنفسهم وهم يُعذَّبُونَ في نار جهنم - والعياذ بالله - أنهم لم يكونوا من المصلين! رغم أنهم لم يكونوا مسلمين أصلاً! قال ﷺ يحكي سؤال أهل النعيم للمجرمين: ﴿ مَا سَأَلَكُمُ فِي سَعْرٍ ﴾ ٤٢ ﴿ قَالُوا لَوْ لَزِمْنَاكَ مِنَّا لَمَّا كَذَبْنَا الْيَوْمَ الْبُيُوتَ ﴾ ٤٣ ﴿ وَتَرَىٰ لَهُمُ الْمَظَالِمَ وَالْمُنَافِقِينَ فِي النَّارِ ﴾ ٤٤ ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ ٤٥ ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ ٤٦ ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ ٤٧ ﴿ فَآتَيْنَهُمْ شِقَقَتَهُ الشَّعِيرَ ﴾ [المدثر: ٤٢ - ٤٨].

فرغم أن أكبر الكبائر هو الشرك بالله والكفر به، وبما يترتب على ذلك من الكفر بالبعث والنشور؛ فقد جعله الله آخر ما ذُكِرَ في الآية! وقدم تضييع الأعمال الصالحة وعلى رأسها الصلاة! ولذلك قال المعذَّبون مقاتلهم وكأنهم وجدوا أن الذين نجوا حقيقةً من العذاب إنما نجوا بسبب عبادتهم لله بالصلاة وبما يليها من أعمال، ثم وجدوا أن طائفة من عصاة المسلمين وفُجَّارهم قد أُلْقِيَ بهم معهم في النار والعياذ بالله؛ بسبب تركهم للصلاة! فلم ينجهم إيمان بلا عمل من عذاب الله! أما هؤلاء الكفار بالله أصالة؛ فكفرهم بيوم الدين كان سبباً في انصرافهم عن الصلاة التي من أجلها خُلِقُوا! فلذلك قالوا أول ما قالوا: ﴿ لَوْ لَزِمْنَاكَ مِنَّا لَمَّا كَذَبْنَا الْيَوْمَ الْبُيُوتَ ﴾ [المدثر: ٤٣] هذه هي الحقيقة العظمى في الدين!

ومن هنا لما ذمَّ الله تعالى الإنسان وتوعده بما فيه من هلع؛ استثنى طائفة من الناس جعلهم بمنجاة من العذاب؛ لِعِلَّةٍ مركزية أساس، هي كونهم مُصَلِّينَ! وألحق بهذا الوصف صفاتٍ شتى إنما هي تفاصيل نعتية - معطوف بعضها على بعض - لكونهم مُصَلِّينَ! وذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝١٩ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جُرُوعًا ۝٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ۝٢١ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ۝٢٢ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ۝٢٣ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ ۝٢٤ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُورِ ۝٢٥ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بَيَّوْرَ الَّذِينَ ۝٢٦ وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ۝٢٧ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ۝٢٨ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَعْتَابِهِمْ حَافِظُونَ ۝٢٩ إِلَّا عَلَىٰ أَرْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٣٠ فَمَنْ أَسْفَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ۝٣١ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ۝٣٢ وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَتِهِمْ قَائِمُونَ ۝٣٣ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٣٤ أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ ۝﴾ [المعارج: ١٩-٣٥].

فهذه الأوصاف كلها إنما هي نابعة من كونهم مصليين! فتدبر...! لأن الصلاة تصنع فيهم هذا كله ثم تحفظه وتُتمِّيه! والعجيب أن أول وَصْفٍ فَرَّغَ عن كونهم مصليين هو أنهم: ﴿ الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴾ ثم كان آخر وصف خُتِمَ به السياق هو أنهم: ﴿ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾، وذلك لجعل الأعمال الصالحة جميعها مراقبة بميزان الصلاة؛ إدامةً لفعلها، وحفظاً لوقتها وخشوعها. وذلك ما يضمن لها البقاء والثبات. فلا صلاح للإنسان بغير صلاة ابتداءً وانتهاءً!

ومن أعجب الآيات في هذا السياق أنه تعالى جادل بني إسرائيل في الإيمان بالقرآن والاعتراف بالحق، ثم خاطبهم بعد ذلك مباشرة بالصلاة والزكاة! وكان إيمانهم بالقرآن إنما هو من أجل تحقيق العبودية الحقة لله وأولها الصلاة! قال عزَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾ (١٣) ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (١٤) ﴿ وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴾ (١٥) ﴿ الَّذِينَ يَطُئُونَ أَنْفُسَهُمْ لِيُؤْتُوا رَبَّهُمْ بَرًّا وَأَنْتُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ [البقرة: ٤٣ - ٤٦].

وقال لهم في آية أخرى: ﴿ وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ [المائدة: ١٢]. وحصر مفهوم «الدين القيم» فيما أمر به بنو إسرائيل ولم يستجيبوا له، وهو إخلاص التوحيد لله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة! فقال سبحانه: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾ [البينة: ٥].

ومن أزهبِ المواقف وأجلها موقفُ نبي الله موسى عليه السلام، لما ناداه ربه لأول مرة بجانب الطور الأيمن! فكان ما كان

من فزع موسى ورهبته! فلما اطمأن عَرَفَهُ اللهُ - تبارك وتعالى -
 بنفسه أولاً، ثم أمره بالعبادة وعلى رأسها الصلاة! فقال في
 آية عجيبة حق عجيبة: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ
 الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴿١١﴾ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ
 نَفْسٍ بِمَا تَسَعَىٰ ﴿﴾ [طه: ١٤، ١٥].

ثم قال للكافر الضال الذي اختلطت عليه المفاهيم، وتداخل
 عنده الحق بالباطل، ففتته الشياطين؛ إذ سَمَّتْ له الضلال
 هُدًى! كما تصنع كثير من الخطابات الإعلامية والسياسية
 في زماننا هذا: ﴿كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانًا لَهُ
 أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَىٰ انْتِنًا قُلْ إِن كُنتَ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٦﴾
 ﴿لِيُذَكِّرَ الَّذِينَ لَمْ يَرْجِعُوا إِلَى اللَّهِ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْجِعُوا إِلَى اللَّهِ وَأَطِيعُوا أَمْرَهُ﴾ [الأنعام: ٧١، ٧٢]. وفي ذلك إشارة إلى أن الصلاة
 هي العاصم من فتنة الشبهات والأهواء التي يُلقِي بها
 الضلال على الجهال!

ولذلك فإنه تعالى قرر أن إقامة الدين في الأرض، وما
 تتطلبه من دعوة وجهاد؛ إنما غايته الأساسية هي الصلاة أولاً!
 وما يلحقها من أعمال الإسلام: ﴿الَّذِينَ إِذَا مَكَتَهُمْ فِي الْأَرْضِ فَقَامُوا
 الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ
 عَزِيزٌ أَعْلَمُ ﴿﴾ [الحج: ٤١]. ووصف هذه الأمة - في غير ما موطن
 من القرآن - بكونها صاحبة الشهادة على الناس، وجعل

مناط تلك الشهادة إقام الصلاة وإيتاء الزكاة! قال تعالى:
﴿ مَلَّةَ أَيْكُمْ إِزْهِيهِ هُوَ سَمَنُكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلِ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ
الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ
وَأَتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴾
[الحج: ٧٨].

وأما الأحاديث النبوية فإنها ثبت أن أول عمل كُلف به
رسول الله ﷺ بعد الإيمان إنما هو الصلاة! والقرآن نفسه
شاهد صريح على هذا. وبيّن النبي عليه الصلاة والسلام
ذلك بيانا لا لبس فيه فقال: « أتاني جبريل في أول ما أوحى إلي
فعلمني الوضوء والصلاة »^(١) الحديث.

وجعل الله قضية الصلاة والزكاة - بعد قضية التوحيد -
هي معركة الإيمان الأساسية في حياة المسلم، طيلة الفترة
المكية دون أي شيء آخر من الأوامر الجهادية والقتالية. قال
تعالى: ﴿ أَلْزَمْنَا إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا
الزَّكَاةَ ﴾ [النساء: ٧٧]. وقال لرسوله ﷺ لما توعدده أبو جهل
بمنعه من الصلاة بالبيت العتيق قال تعالى: ﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى
عَبْدًا إِذَا صَلَّى ﴿١٠﴾ أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى ﴿١٢﴾ أَرَأَيْتَ إِنْ
كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْهَ لَنْسَعُنَّ بِالنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةً

(١) رواه أحمد والدارقطني والحاكم، عن أسامة عن أبيه زيد بن حارثة مرفوعا.
وصححه الألباني في صحيح الجامع، والسلسلة الصحيحة.

كَذِبَةٍ خَاطِفَةٍ ﴿٦٨﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ. ﴿٦٩﴾ سَدَّعُ الزَّيَانَةَ ﴿٧٠﴾ كَلَّا لَا نُطِغُهُ وَأَسْجُدُ
وَأَقْرَبُ ﴿ [العلق: ٩ - ١٩]. فجعل الصلاة معركة مصيرية في
قضية الإيمان! مما لا ينبغي للمؤمن أن يساوم فيه ولا أن يلين
ولا أن يهون! فقد حسم الله ﷻ الأمر في أوائل ما نزل من
القرآن على محمد ﷺ؛ بكلمة الفصل الباقية إلى يوم الدين:
﴿ كَلَّا لَا نُطِغُهُ وَأَسْجُدُ وَأَقْرَبُ ﴾ [العلق: ١٩].

ومن هنا بقيت الصلاة أفضل أعمال المؤمن بإطلاق! فعن
ثوبان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إِسْتَقِيمُوا وَلَكِنْ تَحْضُوا،
وَاعْلَمُوا أَنَّ خَيْرَ أَعْمَالِكُمُ الصَّلَاةُ! وَلَنْ يُحَافِظَ عَلَى الْوُضُوءِ إِلَّا
مُؤْمِنٌ»^(١) وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «الصَّلَاةُ خَيْرُ
مَوْضُوعٍ؛ فَمَنْ اسْتَطَاعَ أَنْ يَسْتَكْبِرَ فَلْيَسْتَكْبِرْ»^(٢).

(١) رواه أحمد، وابن ماجه، والدارمي، والبيهقي، والحاكم، وقال: صحيح على شرطهما، ولا علة له سوى وهم أبي بلال الأشعري. ورواه ابن حبان في صحيحه من غير طريق أبي بلال وقال في أوله: (سددوا وقاربوا واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة... الحديث)، ورواه ابن ماجه والبخاري عن ابن عمرو وأبي أمامة أيضًا، كما رواه الطبراني عن سلمة بن الأكوع. قال ابن عبد البر: (وهذا الحديث يتصل مسندًا عن النبي ﷺ من حديث ثوبان، وحديث عبد الله بن عمرو بن العاص (التمهيد ٢٤ / ٣١٨)، وقال الألباني في صحيح الترغيب: صحيح لغيره. بينما صححه مطلقًا في صحيح الجامع الصغير، حديث رقم (٩٥٢) في صحيح الجامع. وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط عن بعض طرقه في المسند: «حديث صحيح، وهذا إسناد رجاله ثقات رجال الصحيح».

(٢) رواه الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة. وحسنه الشيخ الألباني في صحيح الترغيب، وصحيح الجامع، حديث رقم (٣٨٧٠).

وسئل عليه الصلاة والسلام عن أحب الأعمال إلى الله فقال: «أحبُّ الأعمال إلى الله الصَّلَاةُ لوقْتِهَا، ثُمَّ بر الوالدين، ثُمَّ الجهاد في سبيلِ الله»^(١) وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سألتُ رَسُوْلَ اللهِ ﷺ: أَيُّ الأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «الصَّلَاةُ عَلَيَّ وَفِيهَا». قلتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: «الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ»^(٢).

إن الواجبات في الإسلام كثير، لكنها ليست على وِزَانٍ واحدٍ، فواجب دون واجب. فهناك الواجبات العامة، وهناك الأركان الخمسة، التي هي أصول الواجبات الكبرى في الإسلام، والتي بها يكون الإنسان مسلمًا أو لا يكون! فعن ابن عمر - رضي الله عنهما - أن رَسُوْلَ اللهِ ﷺ قال:

« بُنِيَ الإِسْلَامُ عَلَيَّ خَمْسٍ؛ شَهَادَةِ أَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُوْلُ اللهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَحَجِّ البَيْتِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ »^(٣). ولكن هذه الأركان هي بذاتها مراتب! فليست عبادة تقع من المؤمن مرة في السنة كالصيام والزكاة، أو مرة في العمر كالحج؛ كعبادة تقع منه يوميًا، وعلى مدار الفلك، من الفجر إلى العشاء! فهذه فريضة ذات طبيعة أخرى؛ ولهذا جاء وجوبها في القرآن مقرونًا بالإيمان في أغلب المواطن كما رأيت؛ إذ هي - إن أُقيمت على وجهها - ضمننت من المؤمن أداء باقي الأركان؛ لِمَا لها من تزكية رفيعة

(١) متفق عليه.

(٢، ٣) متفق عليه.

لنفس، ترفع العبد إلى مقام العبودية الكاملة بإذن الله!
 ومن ثم وصفها النبي ﷺ بأنها «عَمُودُ الإِسْلَامِ»! قال عليه
 الصلاة والسلام: «رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ»^(١).
 والعمود - عند العرب - يطلق على الخشبة الضخمة أو العود
 الكبير الذي ترفع به الخيمة من الوسط؛ ولذلك يكون
 أقوى وأعظم وأطول! وبدونه لا يكون للخيمة انتصاب!
 فهو بمثابة السارية أو الأستوانة المركزية في البناء. وهذا
 معنى قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «لا حظَّ في الإسلام لمن
 ترك الصلاة!»^(٢) معنى قولنا هاهنا الدين - أو الإسلام -
 هو الصلاة!

ثم إنه مما يلفت الانتباه حقاً أن كل أحكام الدين -
 عقيدةً وشرعيةً - كان وحيًا من عند الله، ينزل من السماء
 إلى الأرض، بواسطة الملاك جبريل عليه السلام، إلا الصلاة! فقد
 كان لها امتياز أعلى! حيث فرضت أول ما فرضت ركعتين
 فقط لكل وقت!^(٣) وذلك بالمنهج نفسه، وحيًا من السماء إلى

(١) جزء حديث رواه أحمد، والترمذي، وابن ماجه، والحاكم، والبيهقي. والطبراني.
 وقال الترمذي: «حديث حسن صحيح». وقال الشيخ الألباني: «صحيح»، حديث
 رقم (٥١٣٦) في صحيح الجامع. كما صححه بطرقه أيضاً الشيخ شعيب الأرنؤوط
 في تحقيقه للمسنَد. وسيأتي الحديث بتامه في آخر هذه الرسالة إن شاء الله.
 (٢) أخرجه مالك في الموطأ.

(٣) عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: (الصلاة أول ما فرضت ركعتين،
 فأقرت صلاة السفر، وأتمت صلاة الحضر) متفق عليه.

الأرض في السنة الأولى من تاريخ نزول القرآن، بل في الأشهر الأولى من بدء الوحي! كما سبق بيانه.

ثم بعد ذلك جاء التشريع النهائي للصلاة في الصيغة الكاملة؛ باستدعاء رسول الله ﷺ شخصياً إلى السماء السابعة! ليتلقى أمرها من رب العالمين مباشرة! وذلك في ليلة الإسراء والمعراج العجيبة! وخلال المرحلة المكية ذاتها! فقد فرض الله على نبيه ﷺ في السماء السابعة، وبغير واسطة الملاك جبريل عليه السلام خمسين صلاة في كل يوم وليلة، ثم خففها سبحانه، اختزالاً في خمس، ثم قال في الحديث القدسي: « يا محمد! إنهن خمس صلوات كل يوم وليلة، بكل صلاة عشر، فذلك خمسون صلاة »^(١).. فأبي فريضة هذه التي هي فضل كلها، ورحمة كلها، ونور كلها، وجمال كلها؟.. وإن عبادة فرضت في السماء من غير واسطة الملاك؛ لحرية بالارتقاء صُعداً بأهلها إلى مقامات السماء!..^(٢).

ومن هناك لم يزل القرآن الكريم ينتزل حصاً وتأكيذاً لهذه الفريضة العظمى في الإسلام، ويدعو إلى حفظها إقامةً وتوقيتاً وخضوعاً وخشوعاً؛ حتى إنها لا تكاد تخلو سورةً من شأنها؛ أمراً وتوجيهاً، وبياناً وتعليماً، وترغيباً وترهيباً؛ حتى إن لك أن تقول: إن القضية الكبرى للقرآن بعد الإيذان والتوحيد هي

(٢) من رسالتنا: فتاويل الصلاة.

(١) رواه مسلم.

فضية الصلاة! قال تعالى: ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا ﴾ [النساء: ١٠٣] وقال سبحانه: ﴿ أَنْتَ مَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ بِمِثْلِ الصَّلَاةِ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

وقال جل ذكره: ﴿ وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ﴾ [الاعراف: ١٧٠]. وقال تعالى: ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنْ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبُ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذَكَرْنَا لِلذَّاكِرِينَ ﴾ [هود: ١١٤]. وقال سبحانه: ﴿ قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ ﴾ [إبراهيم: ٣١]. وقال تعالى: ﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾ [الإسراء: ٧٨].

ولو تبعت موضوعات الصلاة في القرآن لجئت بالقرآن كله! فماذا بقي للإنسان من دينه إذا هو ضيع الصلاة؟

وما رأيت مثالا أشد وضوحًا ولا أشد رهبةً في بيان مركزية الصلاة في الإسلام، وعظمتها عند الله من مثل ما يسميه الفقهاء بـ (صلاة الخوف)! وقد كان لنا فيها كلام في موطن آخر نخصر منه هاهنا ما يلي: (فمن أعجب العجب أن ألزم الله ﷻ المسلمين بالصلاة إلزامًا حتى في أخرج الظروف وأخطرها: الحرب والقتال! قال ﷻ: ﴿ حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ

وَالصَّلَاةَ الْوُسْطَىٰ وَقَوْمُوا لِلَّهِ قَنِينًا ﴿٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿ [البقرة: ٢٣٨، ٢٣٩]. فقوله سبحانه: ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ ﴾ يعني: في حال الحرب وانعدام السلم والأمن، سواء لحظة الاشتباك أو لحظة الترقب. وقوله: ﴿ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا ﴾ أي: فَصَلُّوا (صلاة الخوف) - باصطلاح الفقهاء - على ما تيسر لكم من هبة ووضع! و(صلاة الخوف) عندهم هي: عين الصلوات الخمس المفروضة، عندما تؤدَّى في ظروف الحرب! حيث قد تُؤدَّى (رِجَالًا)، أي: على أرجلكم، واقفين أو سائرين، أو (رُكْبَانًا)، أي: راكبين خيولكم، أو دباباتكم، ومصفحاتكم، أو طائراتكم.

وقد فصل الفقهاء والمفسرون وشراح الحديث في صور صلاة الخوف وأشكالها؛ بناء على قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلَنْتُمْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِن رَّرَائِكُمْ وَلَنَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَذَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَّيْلَةً وَجَدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أذىٌ مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَّرْضَىٰ أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٦﴾ فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَادْكُرُوا اللَّهَ فِيمَا وَفَعُودًا وَعَلَىٰ

جُنُوبِكُمْ فَإِذَا أَطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى
الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا ﴿ [النساء: ١٠٢، ١٠٣].

فماذا بقي لك بعد هذا يا صاح من الأعمال الحادية إلى
باب الله؟ وما أنت ترى الصلاة أساس السير على كل
حال، مَنْشَطًا وَمَكْرَهًا؟

ولصلاة الخوف صُورٌ كثيرة معروفة في كتب السنن
وكتب الفقه. وإنما الغاية عندنا هاهنا العبرة من الأحكام
لا أنفس الأحكام. وذلك أن الله ﷻ طلب من المسلم
الصلاة على كل حال ما دام عقله سليمًا، لا ينقصه جنون
أو إغماء أو ما في معناهما.

وأحب هاهنا أن أعرض لبعض الفقه في صلاة الخوف؛
لتعرف حجم هذه الفريضة التي ضيعها كثير من الناس
اليوم، ولتعرف حجم الخسارة الواقعة بها ضيعوا..!

ذلك أن من أخرج الوجوه في صلاة الخوف ما رواه
البخاري عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - قال:
(غزوتُ مع رسولِ الله ﷺ قَبْلَ تَجْدِ، فَأَوَازِينَا العَدُوَّ،
فَصَافَقْنَا هُمْ! فقام رسولُ الله ﷺ يصلي لنا، فقامت طائفةٌ
معه تصلي، وأقبلت طائفةٌ على العدو [يعني: تراقبه]، وركع
رسولُ الله ﷺ بمن معه، وسجد سجدتين، ثم انصرفوا
[للحراسة] مكانَ الطائفة التي لم تصل، فجاؤوا [يعني:

الذين لم يصلوا بعد [فرقع رسولُ الله ﷺ بهم ركعة، وسجد سجدتين، ثم سلم، فقام كل واحد منهم، فرقع لنفسه ركعة وسجد سجدتين!)^(١).

ومن ذلك ما رواه البخاري أيضًا عن ابن عباس - رضي الله عنهما - في صفة صلاة الخوف، قال: (قام النبي ﷺ وقام الناس معه، فكبر وكبروا معه، وركع وركع ناسٌ منهم، ثم سجدَ وسجدوا معه، ثم قام للثانية فقام الذين سجدوا وحرسوا إخوانهم، وأتت الطائفة الأخرى فركعوا وسجدوا معه، والناس كلهم في صلاة ولكن يحرس بعضهم بعضًا!)^(٢).

ولعل أخرج صورها على الإطلاق أن يصلها كل واحد لنفسه ركعة واحدة بالإيحاء! وذلك أنه إذا اشتد الخوف، كما هو الحال عند المسابقة، ونحوها من صور الاشتباك في القتال، يصلي كل واحد لنفسه ركعة واحدة، راكبًا أو راجلاً، مُقْبِلًا ومُدْبِرًا. قال القرطبي في تفسيره: (واختلفوا في صلاة الخوف عند التحام الحرب، وشدة القتال، وخيفَ خروجُ الوقت، فقال مالك والثوري والأوزاعي والشافعي وعامة العلماء: يصلي كيفما أمكن؛ لقول ابن عمر: « فإن كان خوفٌ أكثر من ذلك فيصلي راكبًا أو قائمًا يومئ إيحاء »، قال في

(٢،١) رواه البخاري.

الموطأ: مستقبل القبلة وغير مستقبلها!)^(١) وهذه من عجيب صورها! فانظر - رحمك الله - هل يبلغ شيء من أعذار الناس اليوم درجة ما ذكره العلماء من الشدة والحرج في القتال؟ ولم يروا مع ذلك رخصة في تركها، أو تأخيرها عن وقتها!

فعجيب أمر هذه العبادة العظمى.. لا تبرأ ذمة المسلم منها حتى يؤديها! وقد جاء تأكيد ربطها بالوقت حتى في ظروف الحرب كما قرأت؛ حتى لا يؤخرها مسلم عن وقتها الذي فرضها الله فيه. فالحرب، بل الاشتباك في المعركة، أي ما يسمى قديماً بـ (المسايقة)؛ ليس عذراً لتأخير الصلاة عن وقتها؛ بله أن يكون عذراً لتركها. وإنما هو يؤثر فقط في شكل أدائها لا في إسقاطها، أو إخراجها عن وقتها. صل على أي حال كنت، وخذ جذرك! ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾ [النساء: ١٠٣] في السلم وفي الحرب سواء..!^(٢)

(١) تفسير القرطبي، المسمى بالجامع لأحكام القرآن (٣٦٩/٥)، لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، نشر دار الشعب، القاهرة. ط. الثانية (١٣٧٢هـ)، تحقيق: أحمد عبد العليم البردوني.

(٢) من كتابنا «بلاغ الرسالة القرآنية» بتصرف.

البيان الثاني

في أن الصلاة أساس بيعة الرسول ﷺ
وهي المفتاح العهلي للدخول في الإسلام!



لقد كانت الصلاة - أولاً وقبل كل شيء - هي العلامة الأساس لتوبة الكافر المحارب! فمن أقامها من الكفار حُرمت محاربتُه، ووجبت محبته، وحققت أُخُوته! قال تعالى عن أهل الحرب: ﴿ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: ٥]. وقال سبحانه: ﴿ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصَلُ الْأَيَّاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [التوبة: ١١].

ومن هنا كانت الصلاة أَوَّلَ بِنْدٍ - بعد التوحيد - في عقد البيعة التي كان الرسول ﷺ يتلقاها عن الناس. وذلك وارد في صيغ شتى من أحاديثه الثابتة الصحيحة؛ منها قوله ﷺ: « أَلَا تَبَاعُونَ عَلَيَّ أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَالْخُمْسَ، وَتُؤْتُوا الزَّكَاةَ، وَتَسْمَعُوا وَتَطِيعُوا،

ولا تسألوا الناس شيئاً؟»^(١) ومن هنا كان تارك الصلاة في الحقيقة ناقضاً لبيعة رسول الله ﷺ! فتأمل..!

وقلت - من قبل -: (الصلاة أولاً وقبل كل شيء)؛ لأن الزكاة كثيراً ما تُذكرُ مقرونةً بها عطفًا، في القرآن والسنة، ولكنها مع ذلك ليست على وزانها، بل هي مُرتبةٌ بعدها مباشرة وبدرجة ثانية! وهذا معلوم بالاستقراء التام للنصوص القرآنية والحديثية الصريحة الواضحة. وذلك ما كان رسول الله ﷺ يحرص على تعليمه لأصحابه بدقة متناهية!

فتدبر المنهاج الدعوي الذي رسمه - عليه الصلاة والسلام - للصحابي الفقيه معاذ بن جبل ؓ لما بعثه إلى اليمن، يقول ؓ: بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْيَمَنِ، فَقَالَ: « إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ إِلَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَتَى رَسُولُ اللَّهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ، فَأَعْلِمُهُمْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ تَحْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ، فَأَعْلِمُهُمْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةَ تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَرُدُّ عَلَى فَقَرَائِهِمْ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ، فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ! »^(٢) فهذا التعبير المتكرر في الحديث: « فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ » هو جملة شرطية، دالة على أنه: لا فائدة من

(٢) متفق عليه.

(١) رواه مسلم.

العمل المذكور بعدها إن لم يتحقق العمل المذكور قبلها أولاً!
وكانت الصلوات الخمس - كما رأيت - أول مذكور بعد
الإيمان، وقبل سائر الأركان! وعلى هذا وردت النصوص كلها.

البيان الثالث

**في أن ترك الصلاة نقض لعهد الله ورسوله ﷺ
وأنها أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة!
وأنه لا نجاة للإنسان إلا بأدائها!
فعلى نتيجة حسابها تُبنى سائر الأعمال**



قال رَبُّ العِزَّةِ سبحانه في بيان ماهية العهد الذي عهد به إلى إبراهيم وإسماعيل عليهما الصلاة والسلام: ﴿ وَعَهْدَنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ [البقرة: ١٢٥]. فذلك عهد الصلاة إعدادًا لبيت الله وتميئة له، خِدمَةً للطائفين والعاكفين، وأساسُ الاعتكاف هو الصلاة. وأما الرُّكْعُ السُّجُودُ فهم العِبَادُ الذين يسرون إلى الله من صلاة إلى صلاة، ومن ركوع إلى سجود؛ فهم في عبادة دائمة لا تكاد تنقطع! ولذلك قال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا تَسْأَلْ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ [طه: ١٣٢]. وقال لأُمَّته: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الحج: ٧٧].

وقال تعالى: ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴾ [البقرة: ٢٣٨]. وندد بمن تخلف عن أداء الصلاة تنديداً شديداً، فقال ﷺ: ﴿ خَلَّفَ مِنْ بَعْدِي خَلْفٌ أَصَاغُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيَاً ﴾ [مريم: ٥٩]. فذلك عهد الله: الصلاة! ولا عهد لمن ضيع الصلاة! قال سبحانه: ﴿ وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ، وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴾ [الرعد: ٢٥].

وهو صريح الحديث النبوي الصحيح، من قول الرسول ﷺ: « الْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلَاةُ، فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ »^(١) وعن جابر ﷺ: قال: سمعتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يقول: « إِنْ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشُّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرَكَ الصَّلَاةَ »^(٢) وعن عبد الله بن شقيق التَّابِعِيِّ المتفق عَلَى جَلَالَتِهِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - قَالَ: (كَانَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ لَا يَرُونَ شَيْئًا مِنَ الْأَعْمَالِ تَرَكَهُ كُفْرًا غَيْرَ الصَّلَاةِ!)^(٣)

(١) رواه أحمد، والنسائي، وابن ماجه، والترمذي، وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ. كما رواه ابن حبان والحاكم، كلهم عن بريدة ﷺ، مرفوعاً. وصححه الألباني. حديث رقم: (٤١٤٣) في صحيح الجامع. وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط في تحقيق المسند: إسناده قوي.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه الترمذي في كتاب الإيثار، وصححه الإمام النووي إسناده في رياض الصالحين. كما صححه الألباني في صحيح الترغيب، وصححه الترمذي، والمشكاة، وحكم تارك الصلاة.

والمقصود « بالكفر » هاهنا ليس التكفير العَقْدِيَّ الْمُخْرِجَ مِنَ الْمِلَّةِ، ولكنه حُكْمٌ على تارك الصلاة بأن مصيره إلى النار كالكفار! والفرق بينهما أنه لا يخلد مثلهم في العذاب خُلُودًا مُؤَبَّدًا. هكذا فسره الجمهور. وكفى بذلك خِزْيًا والعياذ باللَّه! فقليل جهنم لا يقال له قليل!^(١) ولذلك قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: « خَمْسُ صَلَوَاتٍ افترضهنَّ اللَّهُ ﷻ مَنْ أَحْسَنَ وَضُوءَهُنَّ، وَصَلَّاهُنَّ لَوْ قَتِهِنَّ، وَأَتَمَّ رُكُوعَهُنَّ وَخُشُوعَهُنَّ؛ كَانَ لَهُ عَلَى اللَّهِ عَهْدٌ أَنْ يَغْفِرَ لَهُ! وَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ فَلَيْسَ لَهُ عَلَى اللَّهِ عَهْدٌ، إِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ! »^(٢) وقال عليه الصلاة والسلام: « أَنَا بِي جَبْرِيْلُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ! إِنَّ اللَّهَ ﷻ يَقُولُ: إِنِّي قَدْ

(١) قد أجمع العلماء على تكفير من ترك الصلاة جحودًا لها. وأما من تركها كسلًا وتهاونًا فقد اختلفوا فيه؛ فمنهم من كفره عملاً بظاهر الأحاديث، ومنهم من لم يكفره، وحمل الأحاديث في حقه على ما سموه بالكفر العملي، وهو دون الكفر العقدي، وإنما سمي كفرًا؛ لأنه يقود صاحبه إلى النار كالكفر العقدي سواء، لكنه لا يخلد فيها مع الكفار - أعاذنا الله وإياكم منها، فليلها وكثيرها فقليل النار لا يقال له قليل - ولذلك فالجمهور على أن المقصود بالكفر في هذه الأحاديث وصفٌ في حق مَنْ ترك الصلاة جحودًا لها واستهزاءً. أو أنه الكفر العملي الذي لا يخلد صاحبه في النار. والعامل هو مَنْ يتجنب كل طريق تؤدي إلى النار؛ لأن عذاب يوم واحد فيها كاللِّبِ سنَةٍ مما تعدون! نسأل الله السلامة والنجاة لنا ولكم من العذاب قليله وكثيره.

(٢) رواه مالك، وأحمد، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه، وابن حبان، والحاكم، والبيهقي، كلهم عن عبادة بن الصامت. وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع، وصحيح الترغيب، وصحيح أبي داود، والمشكاة، وصفة الصلاة. كما صححه الشيخ شعيب الأرنؤوط في تحقيق المسند.

فَرَضْتُ عَلَى أُمَّتِكَ خَمْسَ صَلَوَاتٍ، فَمَنْ وَافَى بَيْنَ عَلَى وَوُضُونِهِنَّ،
وَمَوَاقِيْتِهِنَّ، وَرُكُوعِهِنَّ، وَسُجُودِهِنَّ؛ كَانَ لَهُ عِنْدِي بَيْنَ عَهْدٍ أَنْ
أَدْخِلَهُ بَيْنَ الْجَنَّةِ! وَمَنْ لَقِيَنِي قَدْ انْتَقَصَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَلَيْسَ لَهُ
عِنْدِي عَهْدٌ! إِنْ شِئْتَ عَذَّبْتُهُ وَإِنْ شِئْتَ رَحِمْتُهُ!«^(١).

وَرَوَى عَبْدُ اللَّهِ بن عمرو - رضي الله عنهما - عن
النبي ﷺ أَنَّهُ ذَكَرَ الصَّلَاةَ يَوْمًا؛ فَقَالَ: «مَنْ حَافِظٌ عَلَيْهَا كَانَتْ
لَهُ نُورًا وَبِرَهَانًا وَنَجَاةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ! وَمَنْ لَمْ يَحَافِظْ عَلَيْهَا لَمْ يَكُنْ لَهُ
نُورٌ وَلَا بَرَهَانٌ وَلَا نَجَاةٌ، وَكَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ قَارُونََ
وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَأَبِي بَنِي خَلْفٍ»^(٢).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا
يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عَمَلِهِ صَلَاتُهُ، فَإِنْ صَلَحَتْ فَقَدْ
أُفْلِحَ وَأَنْجَحَ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ، فَإِنْ انْتَقَصَ مِنْ
فَرِيضَتِهِ شَيْءٌ، قَالَ الرَّبُّ ﷻ: انظُرُوا هَلْ لِعَبْدِي مِنْ تَطَوُّعٍ؟

(١) رواه الطيالسي. ومحمد بن نصر في كتاب الصلاة. والطبراني. والضياء في المختارة عن عبادة بن الصامت. وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع. والسلسلة الصحيحة.

(٢) رواه أحمد، وابن حبان، والدارمي، والطبراني في الكبير والأوسط. وقال أبو بكر الهيثمي: (رجال أحمد ثقات). مجمع الزوائد (١/٢٩٢). وحسنه الشيخ شعيب الأرنؤوط في تعليقه على المسند. كما صحح الشيخ حسين أسد رواية الدارمي. بينما ضعفه الألباني من رواية ابن نصر في ضعيف الجامع الصغير، ولكن حسنه في الثمر المستطاب، وفي حكم تارك الصلاة. قلت: وعند الجمع بين طرفه فأقل ما يقال فيه: إنه صحيح لغيره، أو حسن.

فَيَكْمَلُ مِنْهَا مَا انْتَقَصَ مِنَ الْفَرِيضَةِ، ثُمَّ تَكُونُ سَائِرُ أَعْمَالِهِ عَلَى هَذَا»^(١) وعن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: « أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة! فإن صلحت صلح سائر عمله، وإن فسدت فسدت سائر عمله! »^(٢).

(١) رواه أحمد، وأصحاب السنن الأربعة، والبيهقي في الكبرى وفي الشعب، والطبراني في الأوسط، وأبو يعلى، والحاكم وصححه، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع، والمشكاة، وصحيح الترغيب، وصحيح سننهم.

(٢) رواه الطبراني في الأوسط، والضياء، عن أنس مرفوعاً. وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع، والسلسلة الصحيحة.

البيان الرابع

في أن ترك الصلاة من أهم أهداف الشيطان من
الإيقاع بالإنسان في سائر الخطايا والهوبات!
وأن من ترك الصلاة بسبب إدهانه على معصية
من المعاصي كان من الهالكين!



تبين أن ترك الصلاة - بعد الكفر والشرك بالله - هو
أكبر كبيرة وأخطر موبقة يمكن أن يقع فيها الإنسان!
ولذلك فقد كانت هي الهدف الأساس من استدراج
الشيطان للإنسان! حتى يقع في الذنوب الأخرى التي
تصرفه عن الصلاة! فإغواء الشيطان له بسائر المعاصي، من
شربٍ للخمر، أو لعبٍ للقمار، أو وقوعٍ في الزنى، أو غير
ذلك؛ إنما غايته عنده أن يترك العبد الصلاة أو أن يتهاون
في أدائها؛ بما يُغضب الله ﷻ نعوذ به تعالى من سخطه
وغضبه! قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاةَ
وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيُصَدِّكُمُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ
مُنْتَهُونَ ﴾ [المائدة: ٩١].

وعن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال: « مَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ سُكْرًا مَرَّةً وَاحِدَةً فَكَأَنَّمَا كَانَتْ لَهُ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا فَسُلبَهَا! وَمَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ سُكْرًا أَرْبَعَ مَرَّاتٍ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ ﷻ أَنْ يَنْقِبَهُ مِنْ طِينَةِ الْخَبَالِ » قِيلَ: وَمَا طِينَةُ الْخَبَالِ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: « عَصَاةُ أَهْلِ جَهَنَّمَ! »^(١).

(١) أخرجه أحمد، والحاكم وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. كما رواه البيهقي في الكبرى وفي الشعب، والطبراني في الكبير والأوسط، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط في تعليقه على المسند: « إسناده حسن ». كما حسنه الألباني في السلسلة الصحيحة وصحيح الترغيب.

البيان الخامس

في أن التزام الصلاة من أهم خصال الأنبياء
والصديقين وأنها دأب الصالحين والرايين، وأهم
صفات أصحاب رسول الله ﷺ



قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ
فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ﴾
[الأنبياء: ٧٣]. وقال سبحانه على لسان إبراهيم: ﴿ رَبِّ اجْعَلْنِي
مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِي ﴾ [إبراهيم: ٤٠].
وقال تعالى على لسان إبراهيم أيضا: ﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ
ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ
فَأَجْعَلْ أَسْمَاءَهُمْ مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ
يَشْكُرُونَ ﴾ [إبراهيم: ٣٧]. وقال تعالى في حق نبيه إسماعيل عليه السلام:
﴿ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴾ [مريم: ٥٥].
وقال تعالى يخاطب نبيه موسى عليه السلام: ﴿ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا
فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾ [طه: ١٤]. ومثله قوله تعالى:

﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمِكَ مَا يَعْبُرُ بِمُوتِنَا وَأَجْعَلُوا يُيُوتِكُمْ فِتْنَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس: ٨٧].
 وقال تعالى على لسان نبيه عيسى عليه السلام: ﴿ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴾ [مريم: ٣١].
 وقال عليه السلام لنبيه محمد عليه السلام: ﴿ وَأَمْرُ أَهْلِكَ بِالصَّلَاةِ وَأَصْطَبِرِ عَلَيْهَا لَا تَشْتَلِكُ رِزْقًا نَحْنُ نَزَرُوكَ وَالْعَقِبَةُ لِلنَّقْوَى ﴾ [طه: ١٣٢] وقال عليه السلام في وصية لقمان لابنه: ﴿ يَبْنِي أَقْبِرَ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ [لقمان: ١٧].
 وقال تعالى في حق بني إسرائيل وغيرهم من الكفار: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾ [البينة: ٥].

وكتبَ أميرُ المؤمنينَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه إلى عَمَّالِهِ قَالَ: « إِنَّ أَهَمَّ أَمْرِكُمْ عِنْدِي الصَّلَاةُ! فَمَنْ حَفِظَهَا وَحَافِظَ عَلَيْهَا حَفِظَ دِينَهُ، وَمَنْ ضَيَّعَهَا فَهُوَ لِمَا سِوَاهَا أَضْيَعُ »^(١).

وعن الْمِسْوَرِ بْنِ مَحْرَمَةَ رضي الله عنه قَالَ: (دَخَلْتُ عَلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ وَهُوَ مُسْجِي [أَي مِنَ الطَّعْنَةِ الَّتِي طُعِنَ عِنْدَ مَقْتَلِهِ] فَقُلْتُ: كَيْفَ تَرُونَهُ؟ قَالُوا: كَمَا تَرَى! قُلْتُ: أَيْقِظُوهُ بِالصَّلَاةِ

(١) أخرجه مالك في الموطأ بسند صحيح.

فإنكم لن توقظوه لشيء أفزع له من الصلاة! فقالوا: الصلاة يا أمير المؤمنين! فقال: ها الله إذا! ولا حق في الإسلام لمن ترك الصلاة! فصلى وإن جُرْحَهُ لَيَتَعَبُ دَمًا^(١) ومعنى « يَتَعَبُ »: يتفجر ويتدفق! وأخرجه مالك في الموطأ بلفظ آخر: (أَنَّ الْمُسُوْرَ بْنَ مَخْرَمَةَ دَخَلَ عَلَى عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ مِنَ اللَّيْلِ الَّتِي طُعِنَ فِيهَا، فَأَيْقِظَ عَمْرٌ لَصَلَاةِ الصُّبْحِ، فَقَالَ عَمْرٌ: نَعَمْ، وَلَا حَظٌّ فِي الْإِسْلَامِ لِمَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ! فَصَلَّى عَمْرٌ وَجُرْحُهُ يَتَعَبُ دَمًا!)^(٢).

ومن أعجب القصص التي تُروى عن أصحاب رسول الله ﷺ قصة الأنصاري الذي بات يحرس المسلمين ليلاً بغزوة ذات الرِّقَاع؛ حيث قام يصلي بثغر حراسته فرآه رجل من المشركين فرماه بثلاثة أسهم، الواحد تلو الآخر، فجعل الدم يجري والرجل قائم يصلي ثابت في صلاته، يتلذذ بتلاوة القرآن، ولم يقطع صلاته! وإليك نص الحديث مفصلاً: عن جابر بن عبد الله ؓ قال: (خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة ذات الرِّقَاع، فأصيبت امرأة من المشركين، فلما انصرف رسول الله ﷺ قافلاً جاء زوجها - وكان غائباً - فحلف ألا ينتهي حتى يُهْرَبِقَ دَمًا في أصحاب محمد! فخرج

(١) رواه البيهقي، وابن أبي شيبة، وعبد الرزاق في مصنفه، والدارقطني، والطبراني في الأوسط، وقال أبو بكر الهيثمي: « رجاله رجال الصحيح ».

(٢) الموطأ.

يتبع أثر النبي ﷺ، فنزل النبي ﷺ منزلاً، فقال: «مَنْ رَجُلٌ يَكَلُّونَا لَيْلَتَنَا هَذِهِ؟» فانتدب رجلاً من المهاجرين ورجلاً من الأنصار [أَنْفُسَهُمَا]، فقالا: نحن يا رسول الله! قال: «فكونوا بِقَمِ الشَّعْبِ» قال: وكانوا نزلوا إلى شِعْبٍ من الوادي. فلما خرج الرجلان إلى قَمِ الشَّعْبِ قال الأنصاريُّ للمهاجري: أَيُّ اللَّيْلِ أَحَبُّ إِلَيْكَ أَنْ أَكْفِيكَهُ: أوله أو آخره؟ قال: اكفني أوله. فَاضْطَجَعَ المهاجري فَنَامَ، وقام الأنصاري يصلي.

وأتى الرجل [يعني المُشْرِك] فلما رأى شَخْصَ الرَّجُلِ المسلم قائماً يصلي [عَرَفَ أَنَّهُ رَيْبِيَّةُ الْقَوْمِ] أي: حارس المسلمين، فرماه بسهم فوضعه فيه! فنزعه فوضعه وثبت قائماً، ثم رماه بسهم آخر فوضعه فيه، فنزعه فوضعه وثبت قائماً، ثم عاد له بثالث، فوضعه فيه، فنزعه فوضعه، ثم ركع وسجد، ثم أَهَبَّ صاحبه، فقال: اجلس فقد أُتِيْتُ! فَوَثَبَ [المهاجري] ! فلما رآهما الرجلُ عرف أن قَدْ نَدَّرُوا بِهِ فهرب! فلما رأى المهاجريُّ ما بالأنصاري من الدماء قال: سبحان الله! ألا أَهْبَيْتَنِي؟ قال: كنتُ في سورة أقرؤها فلم أحب أن أقطعها حتى أَنْفَذَهَا! فلما تَابَعَ الرَّمِيَّ رَكَعْتُ فَأَرَيْتُكَ. وَإِيْمُ اللَّهِ لَوْلَا أَنْ أَضِيعَ نَعْرًا أَمْرِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بحفظه لَقَطَعَ نَفْسِي قَبْلَ أَنْ أَقْطِعَهَا أَوْ أَنْفَذَهَا! (١).

(١) رواه أحمد، وأبو داود، وابن حبان، والبيهقي، وابن خزيمة، والدارقطني، والحاكم وصححه. كما رواه البخاري معلقاً مع اختصار القصة. وقد حسنه الشيخ شعيب =

وعن ابن أبي مُليكة قال: (صحبتُ ابنَ عباس - رضي الله عنهما - من مكة إلى المدينة، فكان إذا نزل قام شَطْرَ الليل! فسأله أيوب: كيف كانت قراءته؟ قال: قرأ: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾ [ق: ١٩]. فجعل يرتل ويكثر في ذلك النشيج!)^(١) والنشيج: شدة البكاء!

فيا حسرةً على العباد!.. لو يدركون ما هذه الصلوات؟ ..
ويا حسرة ثم يا حسرة! على شباب وكهول من أبناء هذه الأمة، تعددت بهم السبل من هنا وهناك، وتفرقت بهم الأهواء، وانغمسوا في التيه من كلِّ صوبٍ، وأضاعوا هذه الصلوات، خشوعها ومواقبتها وجمالها؛ فصدق عليهم قوله تعالى: ﴿خَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيَا﴾ [مريم: ٥٩].

تلك آية فاصلة بين نوعين من الأجيال، بينهما ما بين النور والنار من دلالة، فللآية رهبة عظيمة لو تدبرتها، اقرأها ها هي ذي كاملة، فتدبر: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا نُتِيَ عَلَيْهِمُ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴿٣٨﴾ خَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيَا ﴿٣٩﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ

=الأرناؤوط في تعليقه على المسند، كما حسنه الشيخ الألباني في تعليقه على سنن أبي داود.
(١) سير أعلام النبلاء، للذهبي (٣/٣٤٢).

صَلِحًا فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا ﴿٦٠﴾ [مریم: ٥٨ - ٦٠].
 ولذلك فقد جعل الله الصلاة هي آية المسلم، والعلامة
 الجميلة التي تميزه في مسيرة التاريخ النبوي، فهي الفصل الذي
 لا يعرف إلا به. والنور الذي لا يمشي إلا به. وما مدح الله
 تبارك وتعالى أصحاب رسول الله بشيء كما مدحهم بما كانوا
 عليه من مداومة الصلاة! قال ﷺ: ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ
 أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرْتَهُمُ رُكْعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ
 وَرِضْوَانًا سِيَّمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوَرَاتِ
 وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْطَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ
 سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا
 الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الفتح: ٢٩].

وإنما اكتسبوا صفتيهم الأوليين؛ الجهادية: (أشداء على
 الكفار)، والخلقية: (رحماء بينهم)؛ من كونهم على صلاتهم
 دائمين، بالليل والنهار. وهو قوله تعالى: ﴿ تَرْتَهُمُ رُكْعًا سُجَّدًا ﴾
 الآية؛ لأن ذلك هو المعين الصافي الذي يتزود منه المسلم
 الصادق. من حيث إن قوله تعالى: ﴿ تَرْتَهُمُ رُكْعًا سُجَّدًا ﴾ فيه إشارة
 إلى أن ذلك هو دأبهم وحالهم المستمر في حركاتهم التعبدية؛
 إذ التعبير باسم الفاعل جمعاً (رُكْعًا سُجَّدًا)، في سياق الفعل
 المضارع: (تراهم)؛ يوحي بصورة حية لقافلة المؤمنين، وهم
 منخرطون في حركة الصلاة المتواترة، من غير فتور ولا

انقطاع، سيرًا مستمرًا حتى كان ذلك صفةً ثابتة لهم، حيثما
 تراهم (تراهم ركعًا سجدًا)^(١).

(١) من كتابنا: «بلاغ الرسالة القرآنية» بتصرف.

البيان السادس

في أن فضل الصلوات الخمس عظيم عند الله
وأنهن كفارات للخطايا والذنوب
وهطهرات للبدن والروح!



قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ
وَالْمُنْكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ
رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: «أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْرًا يَبِابِ أَحَدِكُمْ
يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ، هَلْ يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ ^(١) شَيْءٌ؟»
قَالُوا: لَا يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ، قَالَ: «فَذَلِكَ مَثَلُ الصَّلَاةِ
الْخَمْسِ يَمْحُو اللَّهُ بِهِنَّ الْخَطَايَا» ^(٢).

وَعَنْ جَابِر رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَثَلُ الصَّلَاةِ
الْخَمْسِ كَمَثَلِ نَهْرِ جَارِ غَمْرِ عَلَى بَابِ أَحَدِكُمْ، يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ
يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ» ^(٣).

(١) الدَّرَنُ: الوسخ. (٢) متفق عليه.

(٣) رواه مسلم. ومعنى الغَمْر: العميق الكثير الماء.

وَعَنْ عَثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: « مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَتَطَهَّرُ فَيُتِمُّ الطُّهُورَ الَّذِي كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَيُصَلِّيَ هَذِهِ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ، إِلَّا كَانَتْ كَفَّارَةً لِمَا بَيْنَهُنَّ »^(١).

وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (أَنْ رَجُلًا أَصَابَ خَطِيئَةً، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَرُكُوعًا مِنْ أَيْلٍ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ أَلْسِنَاتِ ﴾ [هود: ١١٤]. فَقَالَ الرَّجُلُ: أَلِي هَذَا؟ قَالَ: « لَجَمِيعِ أُمَّتِي كُلِّهِمْ »^(٢).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: « الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ، كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ، مَا لَمْ تُغْفَسِ الْكِبَائِرُ »^(٣).

وَعَنْ عَثْمَانَ بْنِ عَفَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: « مَا مِنْ امْرِئٍ مُسْلِمٍ تَخَضَّرُهُ صَلَاةٌ مَكْتُوبَةٌ فَيُحْسِنُ وَضُوءَهَا، وَخُشُوعَهَا، وَرُكُوعَهَا، إِلَّا كَانَتْ كَفَّارَةً لِمَا قَبْلَهَا مِنْ الذُّنُوبِ مَا لَمْ تُؤْتِ كَبِيرَةٌ، وَذَلِكَ الدَّهْرُ كُلُّهُ »^(٤).

(٢) متفق عليه.

(١) رواه مسلم.

(٣، ٤) رواه مسلم.

البيان السابع

في خصوص فضل صَلَاتَي الصبح والعصر
 وما فيهما من أسرار...!
 وأن المحافظَ عليها بجهاتها محفوظ
 بضمان الله وسلامه في الدنيا
 أهون من النار في الآخرة، بل كان من أهل المنازل
 العالية في الجنة!



قال تعالى: ﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ
 الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾ [الإسراء: ٧٨]. وقال ﷺ:
 ﴿ وَسَيَحِبُّ مُحَمَّدٌ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴾ [ق: ٣٩].
 وَعَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ
 قَالَ: « مَنْ صَلَّى الْبَرْدَيْنِ دَخَلَ الْجَنَّةَ! »^(١) ومعنى « البردَيْنِ »:
 الصُّبْحُ وَالْعَصْرُ. وعن أبي زهير عُمارة بن رُوَيْبَةَ ﷺ
 قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: « لَنْ يَلِجَ النَّارَ أَحَدٌ

(١) متفق عليه.

صَلَّى قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا»^(١) يعني: الفجر والعصر.

وعن جُنْدُب بن سفيان رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فَهُوَ فِي ذِمَّةِ اللَّهِ، فَاَنْظُرْ يَا ابْنَ آدَمَ، لَا يَطْلُبَنَّكَ اللَّهُ مِنْ ذِمَّتِهِ بِشَيْءٍ»^(٢) وعن بُرَيْدَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ تَرَكَ صَلَاةَ الْعَصْرِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ»^(٣).

وعن جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ إِذْ نَظَرَ إِلَى الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، فَقَالَ: «أَمَّا إِنَّكُمْ سَرَّوْنَ رَبِّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ، لَا تَضَامُونَ فِي رُفَّتِهِ! فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلِبُوا عَلَى صَلَاةِ قَبْلِ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلِ غُرُوبِهَا!» يعني: العصر والفجر، ثُمَّ قرأ جرير: ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلِ غُرُوبِهَا ﴾ [طه: ١٣٠]^(٤).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه نَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ، وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ، وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ وَصَلَاةِ الْعَصْرِ، ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ، فَيَسْأَلُهُمُ اللَّهُ - وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ - كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي؟ فَيَقُولُونَ: تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ»^(٥).

(٢) رواه مسلم.
(٥، ٤) متفق عليه.

(١) رواه مسلم.
(٣) رواه البخاري.

البيان الثامن

في فضل صلاة الجماعة بالمسجد، وما رَبَّتَبَ اللَّهُ
لها من النجر العظيم، وأن التخلف عن شهود
الجماعات يجعل صاحبه على خطر عظيم!



عن ابن عمر - رضي الله عنهما - أن رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:
« صَلَاةُ الْجَمَاعَةِ أَفْضَلُ مِنْ صَلَاةِ الْفَذِّ بِسَبْعٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً »^(١).
وعن أبي هريرة ؓ أن رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: « صَلَاةُ
الرَّجُلِ فِي جَمَاعَةٍ تُضَعَّفُ عَلَى صَلَاتِهِ فِي بَيْتِهِ وَفِي سُوقِهِ خَمْسًا
وَعِشْرِينَ ضِعْفًا، وَذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ، ثُمَّ خَرَجَ
إِلَى الْمَسْجِدِ، لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا الصَّلَاةُ، لَمْ يَخْطُ خَطْوَةً إِلَّا رُفِعَتْ لَهَا
دَرَجَةٌ، وَحُطَّتْ عَنْهَا بِهَا خَطِيئَةٌ، فَإِذَا صَلَّى لَمْ تَزَلِ الْمَلَائِكَةُ تُصَلِّي
عَلَيْهِ مَا دَامَ فِي مُصَلَّاهُ مَا لَمْ يُخْدِثْ، تَقُولُ: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيْهِ،
اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ، وَلَا يَزَالُ فِي صَلَاةٍ مَا أَنْتَظِرُ الصَّلَاةَ! »^(٢).
وعنه ؓ قَالَ: « أَتَى النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ أَعْمَى، فَقَالَ:

يَا رَسُولَ اللَّهِ! لَيْسَ لِي قَائِدٌ يَقُودُنِي إِلَى الْمَسْجِدِ، فَسَأَلَ
رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُرَخِّصَ لَهُ فَيُصَلِّيَ فِي بَيْتِهِ، فَرَخَّصَ لَهُ،
فَلَمَّا وُلَّى دَعَاهُ، فَقَالَ لَهُ: « هَلْ تَسْمَعُ النَّدَاءَ بِالصَّلَاةِ؟ » قَالَ:
نَعَمْ. قَالَ: « فَأَجِبْ »^(١).

وَعَنْ ابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ ؓ وَهُوَ الْأَعْمَى الْمَذْكُورُ فِي الْحَدِيثِ
السَّابِقِ - أَنَّهُ قَالَ: « يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ السَّمْدِيَّةَ كَثِيرَةُ الْهَوَامِّ
وَالسَّبَاعِ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « تَسْمَعُ حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ
حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ؟ فَحَيْهَلًا! »^(٢).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ؓ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: « وَالَّذِي
نَفْسِي بِيَدِهِ! لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَمُرَّ بِحَطْبٍ فَيُحْتَطَبَ، ثُمَّ أَمُرَّ
بِالصَّلَاةِ فَيُؤَذَّنَ لَهَا، ثُمَّ أَمُرَّ رَجُلًا فَيُؤَمَّ النَّاسَ، ثُمَّ أُخَالَفَ إِلَى
رَجَالٍ لَا يَشْهَدُونَ الصَّلَاةَ؛ فَأَحْرَقَ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ بِالنَّارِ »^(٣).

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ ؓ قَالَ: « مَنْ سَرَّهُ أَنْ
يَلْقَى اللَّهَ تَعَالَى غَدًا مُسْلِمًا، فَلْيُحَافِظْ عَلَى هَؤُلَاءِ
الصَّلَوَاتِ حَيْثُ يُنَادَى بِهِنَّ! فَإِنَّ اللَّهَ شَرَعَ لِنَبِيِّكُمْ ﷺ

(١) رواه مسلم.

(٢) رَوَاهُ النَّسَائِيُّ، وَأَبُو دَاوُدَ، وَابْنُ خَزِيمَةَ، وَالْحَاكِمُ، وَابْنُ أَبِي عَاصِمٍ، وَحَسَنُ النَّوَوِيِّ
فِي رِيَاضِ الصَّالِحِينَ وَقَالَ: (مَعْنَى «حَيْهَلًا»: تَعَالَى!)، وَصَحَّحَهُ الْأَبَانِيُّ فِي
الْمَشْكَاتِ، وَفِي صَحِيحِ سُنَنِ النَّسَائِيِّ وَأَبِي دَاوُدَ.

(٣) متفق عليه.

سُنَنَ الْهُدَى، وإنهن من سنن الهدى، وَلَوْ أَنْكُمْ صَلَّيْتُمْ فِي بَيْتِكُمْ كَمَا يُصَلِّي هَذَا الْمُتَخَلِّفُ فِي بَيْتِهِ لَتَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ، وَلَوْ تَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ لَضَلَلْتُمْ! وَلَقَدْ رَأَيْتَنَا وَمَا يَتَخَلَّفُ عَنْهَا إِلَّا مُنَافِقٌ مَعْلُومُ النِّفَاقِ! وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يُؤْتَى بِهِ يُمَادَى بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ حَتَّى يُقَامَ فِي الصَّفِّ! «^(١)».

وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: « مَا مِنْ ثَلَاثَةِ فِي قَرْيَةٍ، وَلَا بَدْوٍ، لَا تُقَامُ فِيهِمُ الصَّلَاةُ إِلَّا قَدْ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ. فَعَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ، فَإِنَّمَا يَأْكُلُ الذَّنْبُ مِنَ الْغَنَمِ الْقَاصِيَةَ »^(٢).

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخَدْرِيِّ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: « الصَّلَاةُ فِي جَمَاعَةٍ تَعْدِلُ خَمْسًا وَعِشْرِينَ صَلَاةً! فَإِذَا صَلَّاهَا فِي فَلَائَةٍ فَأَنْتُمْ رُكُوعُهَا وَسُجُودُهَا بَلَقَتْ خَمْسِينَ صَلَاةً »^(٣) والمقصود بصلاتها في فلاة - وهي الصحراء - المسافر الذي لا يشغله

(١) رواه مسلم. ومعنى «يُمَادَى»: أي يعتمد على رجلين، فيمشي بينهما متبايلاً من شدة الضعف والمرض!

(٢) القاصية: المنعزلة عن القطيع، الشاردة بعيداً عنه. والحديث رَوَاهُ أَحْمَدُ، والنسائي، وأبو داود، وابن حبان، وابن خزيمة، والحاكم، والبيهقي في الكبرى والشعب. وحسنه النووي في رياض الصالحين. كما حسنه الشيخ الألباني في صحيح الجامع، والمشكاة، وفي صحيح سنن النسائي وأبي داود. وقال في صحيح الترغيب: حسن صحيح. كما حسنه الشيخ شعيب الأرنؤوط في تحقيق المسند.

(٣) رواه أبو داود، وابن حبان، والحاكم، وقال: صحيح على شرطهما. كما صححه الألباني في صحيح الجامع، وصحيح الترغيب، وصحيح أبي داود.

تعب سفره ومشاقه عن أداء صلاته. فرغم انفراده كان
أجره مضاعفًا إن هو أحسن أداء الصلاة في سفره.

البيان التاسع

في فضل شهود الجماعة في صَلَاتَي الصبح
والعشاء وما فيها من بركات وأسرار
وحجم الخسارة الناجمة عن إضاعة جماعتها!



عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: « مَنْ صَلَّى الْعِشَاءَ فِي جَمَاعَةٍ، فَكَأَنَّمَا قَامَ نِصْفَ اللَّيْلِ، وَمَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فِي جَمَاعَةٍ، فَكَأَنَّمَا صَلَّى اللَّيْلَ كُلَّهُ »^(١). وفي رواية أبي داود والترمذي عن عثمان بن عفان رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: « مَنْ شَهِدَ الْعِشَاءَ فِي جَمَاعَةٍ كَانَ لَهُ قِيَامُ نِصْفِ لَيْلَةٍ، وَمَنْ صَلَّى الْعِشَاءَ وَالْفَجْرَ فِي جَمَاعَةٍ كَانَ لَهُ كَقِيَامِ لَيْلَةٍ »^(٢)، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: « لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي النِّدَاءِ وَالصَّفِّ الْأَوَّلِ، ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إِلَّا أَنْ يَسْتَهْمُوا عَلَيْهِ لَاسْتَهَمُوا عَلَيْهِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه أبو داود، والترمذي، وقال: حديث حسن صحيح. وصححه الألباني في صحيح سنيهما، وفي صحيح الترغيب.

مَا فِي التَّهْجِيرِ لَأَسْتَبِقُوا إِلَيْهِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي الْعَتَمَةِ
وَالصُّبْحِ لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبَوًّا! «(١).

وعنه عليه السلام أن رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَيْسَ صَلَاةٌ أَثْقَلَ عَلَى
الْمُتَأَفِّقِينَ مِنْ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَالْعِشَاءِ! وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا
لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبَوًّا»(٢).

(١) متفق عليه. ومعنى العتمة: وقت صلاة العشاء، وهي أول ظلمة الليل.
والاستهام: الاقتراع. والتهجير: التذكير إلى الصلاة.

(٢) متفق عليه.

البيان العاشر

في فضل انتظار الصلاة بالهسجد
وأن الهلاكة تجالس الهوهن الهراط فيه
ما دام متوضئاً ينتظر الصلاة!



عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: « لَا يَزَالُ أَحَدُكُمْ فِي صَلَاةٍ مَا دَامَتِ الصَّلَاةُ تَحْسِبُهُ، لَا يَمْنَعُهُ أَنْ يَنْقَلِبَ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا الصَّلَاةُ »^(١).

وعنه رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: « الْمَلَائِكَةُ تُصَلِّي عَلَى أَحَدِكُمْ مَا دَامَ فِي مُصَلَاةِ الَّذِي صَلَّى فِيهِ، مَا لَمْ يُجِدْ، تَقُولُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ! اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ »^(٢).

وَعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَخْرَجَ صَلَاةَ الْعِشَاءِ إِلَى شَطْرِ اللَّيْلِ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ بَعْدَ مَا صَلَّى، فَقَالَ: « صَلَّى النَّاسُ وَرَقَدُوا، وَلَمْ تَزَالُوا فِي صَلَاةٍ مُنْذُ انْتَضَرْتُمُوهَا »^(٣).

(١) متفق عليه.

(٢، ٣) رواه البخاري.

وعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:
 «صلاة في إثر صلاة لا لغو بينهما كتاب في عليين»^(١).

(١) رواه أحمد، وأبو داود، والبيهقي في الكبرى والشعب، والطبراني في الكبير والأوسط والصغير. وحسنه الألباني في صحيح الجامع، وصحيح الترغيب، وصحيح أبي داود، والمشكاة. بينما صححه الشيخ شعيب الأرنؤوط في تحقيق المسند.

البيان الحادي عشر

في أن الهشي إلى المساجد مغفرة ونور
وفوز بأعلى منازل الجنة!



قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَن ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى
أُولَئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴾ [التوبة: ١٨]

وقال سبحانه: ﴿ فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تَرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا
أَسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ۗ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ
عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ
وَالْأَبْصَارُ ۗ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيََهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ
يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [النور: ٣٦-٣٨].

وَعَن أَبِي هُرَيْرَةَ ؓ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: « مَنْ عَدَا إِلَى
الْمَسْجِدِ أَوْ رَاحَ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُ فِي الْجَنَّةِ نَزْلًا كُلَّمَا عَدَا أَوْ رَاحَ »^(١).
وعنه ؓ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: « مَنْ تَطَهَّرَ فِي بَيْتِهِ، ثُمَّ مَضَى

(١) متفق عليه.

إلى بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ لِيَقْضِيَ فَرِيضَةً مِنْ فَرَائِضِ اللَّهِ،
كَانَتْ خُطْوَاتُهُ، إِخْدَاهَا تَحْطُ خَطِيئَتُهُ، وَالْأُخْرَى تَرْفَعُ دَرَجَةً»^(١).

وَعَنْ أَبِي أَمَامَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «مَنْ خَرَجَ
مِنْ بَيْتِهِ مُتَطَهِّرًا إِلَى صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ فَأَجْرُهُ كَأَجْرِ الْحَاجِّ
الْمُحْرِمِ! وَمَنْ خَرَجَ إِلَى تَسْبِيحِ الضُّحَى لَا يَنْصِبُهُ إِلَّا إِيَّاهُ
فَأَجْرُهُ كَأَجْرِ الْمُعْتَمِرِ! وَصَلَاةٌ عَلَى إِنْزِلِ صَلَاةٍ لَا لَفْوَ بَيْنَهُمَا
كِتَابٌ فِي عَلَيَّينَ»^(٢).

وَعَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ رضي الله عنه قَالَ: «كَانَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ
لَا أَعْلَمُ أَحَدًا أَبْعَدَ مِنَ الْمَسْجِدِ مِنْهُ، وَكَانَتْ لَا تُحْطِئُهُ صَلَاةٌ،
فَقِيلَ لَهُ: لَوْ اشْتَرَيْتَ حِمَارًا لَتَرَكَبَهُ فِي الظُّلْمَاءِ وَفِي الرَّمْضَاءِ؟»^(٣)
قَالَ: مَا يَسُرُّنِي أَنْ مَنَزِلِي إِلَى جَنْبِ الْمَسْجِدِ! إِنِّي أُرِيدُ أَنْ
يُكْتَبَ لِي مِمَّسَايَ إِلَى الْمَسْجِدِ، وَرُجُوعِي إِذَا رَجَعْتُ إِلَى أَهْلِي.
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «قَدْ جَمَعَ اللَّهُ لَكَ ذَلِكَ كُلَّهُ»^(٤).

وَعَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ: «خَلَّتِ الْبِقَاعُ حَوْلَ الْمَسْجِدِ، فَأَرَادَ
بَنُو سَلِيمَةَ أَنْ يَنْتَقِلُوا قُرْبَ الْمَسْجِدِ، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم،

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه أحمد، وأبو داود، والبيهقي في الكبرى والشعب، والطبراني في الكبير
والأوسط والصغير. وحسنه الألباني في صحيح الجامع، وصحيح الترغيب،
وصحيح أبي داود، والمشكاة. بينها صححه الشيخ شعيب الأرنؤوط في تحقيق المسند.

(٤) رواه مسلم.

(٣) الرمضاء: شدة الحر.

فَقَالَ لَهُمْ: « بَلَّغْنِي أَنْكُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَتَّقِلُوا قُرْبَ الْمَسْجِدِ؟ »
 قالوا: نعم يا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ أَرَدْنَا ذَلِكَ. فَقَالَ: « بِنِي سَلِمَةَ
 دِيَارِكُمْ تُكْتَبُ آثَارُكُمْ! دِيَارِكُمْ تُكْتَبُ آثَارُكُمْ! » فقالوا:
 مَا يَسْرُنَا أَنَا كُنَّا نَحْوَلُنَا^(١).

وَعَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: « إِنَّ أَعْظَمَ
 النَّاسِ أَجْرًا فِي الصَّلَاةِ أَبْعَدُهُمْ إِلَيْهَا تَمَسُّ فَابْعَدُهُمْ! وَالَّذِي
 يَنْتَظِرُ الصَّلَاةَ حَتَّى يُصَلِّيَهَا مَعَ الْإِمَامِ أَعْظَمَ أَجْرًا مِنَ الَّذِي
 يُصَلِّيَهَا ثُمَّ يَنَامُ »^(٢).

وَعَنْ بُرَيْدَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: « بَشُرُوا الْمَشَائِرَ فِي
 الظُّلَمِ إِلَى الْمَسَاجِدِ بِالنُّورِ التَّامِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ! »^(٣). وَعَنْ
 أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: « أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو
 اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟ » قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ؟
 قَالَ: « إِسْبَاحُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ،
 وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَذَلِكَ الرِّبَاطُ! فَذَلِكَ الرِّبَاطُ »^(٤).

(١) رواه مسلم، وروى البخاري نحوه مختصراً من حديث أنس.

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه أبو داود، والترمذي عن بريدة. ورواه ابن ماجه، والحاكم، عن أنس
 وعن سهل بن سعد. كما رواه البيهقي في الكبرى وفي الشعب، والطبراني في
 الكبير والأوسط، وأبو يعلى، وابن خزيمة. وصححه الألباني في صحيح الجامع،
 والمشكاة، وصحيح الترغيب، وصحيح السنن الثلاثة.

(٤) رواه مسلم.

البيان الثاني عشر

في أن يوم الجمعة أفضل الأيام عند الله على
الإطلاق لها جعل الله فيه من الأسرار الكونية
والحقائق الإيمانية



ومن ثمَّ فقد وجبت صلاة الجمعة على المسلمين،
وتميزت بفضل عظيم! فتأكَّد ندْبُ الاغتسالِ لها والتَّطْيِيبِ،
والتبكيرِ إليها، والصلاة على النبي ﷺ يومها، والإكثار من
الدعاء؛ إذ فيها ساعة الإجابة الخاصة! وفيها من الأسرار
القَدْرِيَّةِ والعجائب التكوينية ما يملأ القلب رَهَبًا!

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تُوذِعُوا لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ
الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ
تَعْلَمُونَ ﴿١﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ
فَضْلِ اللَّهِ وَادْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢﴾ [الجمعة: ١٠٠٩].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ؓ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: « خَيْرُ يَوْمٍ
طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ: فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ أُدْخِلَ

الْجَنَّةَ، وَفِيهِ أُخْرِجَ مِنْهَا! «^(١) تلك رواية مسلم، وللحديث تفصيل عجيب في رواية أخرى صحيحة؛ ونصها أنه ﷺ قال: « خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ فِيهِ الشَّمْسُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ: فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ أَهْبَطَ، وَفِيهِ تَيَبَّ عَلَيْهِ، وَفِيهِ قُبِضَ، وَفِيهِ تَقَوْمُ السَّاعَةِ! مَا عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا وَهِيَ تُصْبِحُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ مُصَيَّخَةً حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ؛ شَفَقًا مِنَ السَّاعَةِ! إِلَّا ابْنُ آدَمَ! وَفِيهِ سَاعَةٌ لَا يَصَادِفُهَا عَبْدٌ مُؤْمِنٌ وَهُوَ فِي الصَّلَاةِ يَسْأَلُ اللَّهَ شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ »^(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الوُضُوءَ ثُمَّ أتَى الْجُمُعَةَ، فَاسْتَمَعَ وَأَنْصَتَ، غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجُمُعَةِ وَزِيَادَةُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ! وَمَنْ مَسَّ الْحَصَى فَقَدْ لَعَا »^(٣).

وَعَنْهُ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: « الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ، وَرَمَضَانَ إِلَى رَمَضَانَ، مُكْفَرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتُنِبَتِ الْكَبَائِرُ »^(٤). وعنه وعن ابن عمر كليهما معاً -

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مالك، وأحمد، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن حبان، والحاكم، عن أبي هريرة مرفوعاً. وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، وصحيح سننهم، وصحيح الترغيب، والإرواء. وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط في تحقيق المسند: « إسناده صحيح على شرط الشيخين ».

(٣، ٤) رواه مسلم.

رضي الله عنهما - أنها سمعا رسول الله ﷺ يقول على
أعواد منبره: « لَيْتَهُيْنِ أَقْوَامٌ عَن وَدَعِهِمُ الْجُمُعَاتِ أَوْ لَيَحْتِمَنَّ
اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ ثُمَّ لَيَكُونَنَّ مِنَ الْغَافِلِينَ! »^(١).

وَعَن ابن عمر رضي الله عنهما: أَنَّ رسول الله ﷺ
قَالَ: « إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمْ الْجُمُعَةَ فَلْيَغْتَسِلْ! »^(٢). وعن
أبي سعيد الخدري ؓ أَنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: « غُسْلُ
يَوْمِ الْجُمُعَةِ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُحْتَلِمٍ! »^(٣). وعن سلمان ؓ أَنَّ
رسول الله ﷺ قَالَ: « لَا يَغْتَسِلُ رَجُلٌ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَيَتَطَهَّرُ
مَا اسْتَطَاعَ مِنْ طَهْرٍ، وَيَدَّهِنُ مِنْ دُهْنِهِ، أَوْ يَمَسُّ مِنْ طِيبٍ
بَيْنَهُ، ثُمَّ يَخْرُجُ فَلَا يَفْرُقُ بَيْنَ اثْنَيْنِ، ثُمَّ يُصَلِّي مَا كُتِبَ لَهُ،
ثُمَّ يُنْصِتُ إِذَا تَكَلَّمَ الْإِمَامُ، إِلَّا غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ
الْجُمُعَةِ الْأُخْرَى »^(٤).

وَعَن أبي هريرة ؓ أَنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: « مَنْ اغْتَسَلَ
يَوْمَ الْجُمُعَةِ غُسْلَ الْجَنَابَةِ، ثُمَّ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الْأُولَى فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ
بَدَنَةً [أَي: جَمَلًا أَوْ نَاقَةً]، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ فَكَأَنَّمَا
قَرَّبَ بَقْرَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّلَاثَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ كَبْشًا أَقْرَنًا،
وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الرَّابِعَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ دَجَاجَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي

(١) (٣، ٢) متفق عليه.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه البخاري.

السَّاعَةِ الحَامِسَةِ فَكَانَ قَرَبَ بَيْضَةٍ، فَإِذَا خَرَجَ الإِمَامُ حَضَرَتِ
المَلَائِكَةُ يَسْتَمِعُونَ الذِّكْرَ»^(١) ومعناه أنه لا فضل لمن جاء
متأخرًا، وليس له إلا أجر الفريضة!

وعنه ﷺ: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ذَكَرَ يَوْمَ الجُمُعَةِ، فَقَالَ:
« فِيهَا سَاعَةٌ لَا يُوَفِّقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ، وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي يَسْأَلُ اللَّهَ
شَيْئًا، إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ » وَأَشَارَ بِيَدِهِ يُقَلِّلُهَا»^(٢). وعن أبي بُرْدَةَ
ابن أبي موسى الأشعريّ ﷺ قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بنِ عَمْرٍ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَسَمِعْتُ أَبَاكَ يُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
فِي شَأْنِ سَاعَةِ الجُمُعَةِ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ، سَمِعْتُهُ يَقُولُ:
سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: « هِيَ مَا بَيْنَ أَنْ يَجْلِسَ الإِمَامُ
إِلَى أَنْ تُقْضَى الصَّلَاةُ »^(٣).

وعن أوس بن أوسٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:
« إِنَّ مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمَ الجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ قُبِضَ،
وَفِيهِ النَّفْحَةُ، وَفِيهِ الصَّعْقَةُ، فَأَكْثَرُوا عَلَيَّ مِنْ الصَّلَاةِ فِيهِ! فَإِنَّ
صَلَاتِكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ » قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَيْفَ تُعْرَضُ
صَلَاتُنَا عَلَيْكَ وَقَدْ أَرَمْتَ؟ أَي يَقُولُونَ: قَدْ بَلَيْتَ، فَقَالَ: « إِنْ
اللَّهُ حَرَّمَ عَلَى الأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ الأنْبِيَاءِ »^(٤).

(١) متفق عليه. (٢) رواه مسلم.

(٤) رواه أحمد، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه، وابن حبان، والحاكم، عن
أوس بن أوس، وصححه النووي في رياض الصالحين. كما صححه الألباني في =

وَعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَسَوْقًا يَأْتُونَهَا كُلَّ جُمُعَةٍ، فِيهَا كُتُبَانِ الْمِسْكِ، فَتَهْبُ رِيحُ الشَّمَالِ فَتَحْتُوا فِي وُجُوهِهِمْ وَثِيَابِهِمْ فَيَزِدَادُونَ حُسْنًا وَجَمَالًا، فَيَرْجِعُونَ إِلَى أَهْلِهِمْ وَقَدْ اَزْدَادُوا حُسْنًا وَجَمَالًا، فَيَقُولُ لَهُمْ أَهْلُهُمْ: وَاللَّهِ لَقَدْ اَزْدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْنًا وَجَمَالًا! فَيَقُولُونَ: وَأَنْتُمْ وَاللَّهِ لَقَدْ اَزْدَدْتُمْ حُسْنًا وَجَمَالًا»^(١).

من أجل هذا وذاك شدد النبي صلى الله عليه وسلم النكير على ترك صلاة الجماعة تهاونًا؛ حتى بلغ ثلاث جُمُوعٍ! فعن أبي الجعد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ تَرَكَ ثَلَاثَ جُمُوعٍ تَهَاوَنًا بِهَا؛ طَعَبَ اللَّهُ عَلَى قَلْبِهِ»^(٢). وعن أسامة بن زيد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ تَرَكَ ثَلَاثَ جُمُوعَاتٍ مِنْ غَيْرِ عَذْرِ كُتِبَ مِنَ الْمُنَافِقِينَ»^(٣).

= صحيح الجامع، والسلسلة الصحيحة، والمشكاة، وصحيح الترغيب، والإرواء. وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط في تحقيق المسند: إسناده صحيح. (١) رواه مسلم.

(٢) رواه أحمد، وأصحاب السنن الأربعة، والحاكم. وصححه الألباني في صحيح الجامع، وفي صحيح سننهم، والمشكاة، وصحيح الترغيب. وحسنه الشيخ شعيب الأرنؤوط في تحقيق المسند.

(٣) رواه الطبراني، وصححه الألباني في صحيح الجامع. وروى نحوه ابن حبان وابن خزيمة عن أبي الجعد الضمري مرفوعًا، وصححه الألباني في صحيح الترغيب.

البيان الثالث عشر

في فضل نوافل الصلوات وقيام الليل خاصة، وأن
 الصلاة في جوف الليل خير النوافل على الإطلاق!
 وأنها أقرب الطرق الوصلة إلى الله!
 فهي تنير القلب، وتجدد الإيهان، وتولأ الوجدان
 أنسا بالله وثقة به تعالى
 وهي غذاء للروح، وشفاء للنفس، وعلاج للبدن!



قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِرَسُولِهِ ﷺ: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ. نَافِلَةً
 لَكَ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩]. وقال له
 أيضًا: ﴿يَأْتِيهَا الْمُرْتَلُ ① قِرَ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلًا ② نِصْفَهُ أَوْ انْقُصَ مِنْهُ قَلِيلًا ③
 أَوْ زِدَ عَلَيْهِ وَرَتِلَ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: ١ - ٤]. وقال سبحانه في
 حق المؤمنين الخُلَّصِ: ﴿نَتَجَافَىٰ جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ
 خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [السجدة: ١٦] الآية، وقال ﷺ
 في وصف المتقين: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجُونَ﴾ [النار: ١٧].
 وعن أبي هريرة ؓ أن رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَىٰ

قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنَنَّهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّىٰ أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمِعُهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرُهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطَيْتَهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لِأُعِيدَنَّهُ»^(١).

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ فِيمَا يَرُوهُ عَنْ رَبِّهِ: « إِذَا تَقَرَّبَ الْعَبْدُ إِلَيَّ شِبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِذَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا، وَإِذَا آتَانِي يَمْشِي آتَيْتُهُ هَرْوَلَةً »^(٢).
وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: « الصَّلَاةُ خَيْرٌ مَوْضُوعٍ، فَمَنْ اسْتَطَاعَ أَنْ يَسْتَكْبِرَ فَلْيَسْتَكْبِرْ »^(٣)، وَمَعْنَى قَوْلِهِ: « خَيْرٌ مَوْضُوعٍ » أَي: خَيْرُ تَشْرِيحٍ وَوَضْعٍ لِلنَّاسِ. وَعَنْ عَقْبَةَ ابْنِ عَامِرٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: « مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَتَوَضَّأُ فَيُحْسِنُ وُضُوءَهُ، ثُمَّ يَنُومُ فَيُصَلِّي رَكَعَتَيْنِ، يُقْبَلُ عَلَيْهِمَا بِقَلْبِهِ وَوَجْهِهِ إِلَّا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ »^(٤).

ولقيام الليل قصة أخرى! فَمِنْ أَحَبِّ الْأَحَادِيثِ إِلَى قَلْبِي قَوْلُهُ صلى الله عليه وسلم: « مَنْ قَامَ بِعَشْرِ آيَاتٍ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ،

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة. وحسنه الشيخ الألباني في صحيح الجامع وصحيح الترغيب.

(٤) رواه مسلم.

وَمَنْ قَامَ بِبَيَّاتَةِ آيَةِ كُتِبَ مِنَ الْقَانِنِينَ، وَمَنْ قَامَ بِالْفِ آيَةِ كُتِبَ مِنَ الْمُقَنْطَرِينَ»^(١) وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ حَتَّى تَتَفَطَّرَ قَدَمَاهُ، فَقُلْتُ لَهُ: لِمَ تَصْنَعُ هَذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَقَدْ غُفِرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ قَالَ: «أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا؟»^(٢).

وعن علي رضي الله عنه: (أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ طَرَفَهُ وَفَاطِمَةَ لَيْلًا، فَقَالَ: «أَلَا تُصَلِّيَانِ؟»)^(٣). وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَأَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال: «إِذَا أَيْقَظَ الرَّجُلُ أَهْلَهُ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلِّيَا - أَوْ صَلَّى رَكَعَتَيْنِ جَمِيعًا، كُتِبَا فِي الذَّاكِرِينَ وَالذَّاكِرَاتِ»^(٤). وعن سالم بن عبد الله بن عمر ابن الخطاب - رضي الله عنهم - عن أبيه أن رسول الله ﷺ قَالَ: «نِعْمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللَّهِ، لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ» قَالَ

(١) رواه أبو داود، والبيهقي في الشعب، وابن حبان، وابن خزيمة، عن عبد الله ابن عمرو. وصححه الألباني في صحيح الجامع، وفي السلسلة الصحيحة، وصحيح الترغيب، وصحيح سنن أبي داود.

(٢) متفق عليه. ومتفق على نحوه عن المغيرة بن شعبة.

(٣) متفق عليه.

(٤) رواه أبو داود، والنسائي، وابن ماجه، وابن حبان، والحاكم، والطبراني في الأوسط والصغير، كلهم عن أبي هريرة، أو أبي سعيد الخدري، أو عنهما معاً، وصححه النووي في رياض الصالحين. كما صححه الألباني في صحيح الجامع، وصحيح سننهم، والمشكاة، وصحيح الترغيب. وفيه: «قال الحافظ: صحيح على شرط الشيخين».

سَالِمٌ : فَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بَعْدَ ذَلِكَ لَا يَنَامُ مِنَ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلًا^(١). وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِي - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « يَا عَبْدَ اللَّهِ ! لَا تَكُنْ مِثْلَ فُلَانٍ كَانَ يَقُومُ اللَّيْلَ فَتَرَكَ قِيَامَ اللَّيْلِ »^(٢).

وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : (ذُكِرَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ رَجُلٌ نَامَ لَيْلَةً حَتَّى أَضْبَحَ ، قَالَ : « ذَاكَ رَجُلٌ بَالَ الشَّيْطَانُ فِي أُذُنَيْهِ »)^(٣). وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إِذَا هُوَ نَامَ ثَلَاثَ عُقَدٍ ، يَضْرِبُ عَلَى كُلِّ عُقْدَةٍ : عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ فَارْقُدْ ! فَإِنِ اسْتَيْقَظَ ، فَذَكَرَ اللَّهَ تَعَالَى انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ ، فَإِنِ تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ ، فَإِنِ صَلَّى انْحَلَّتْ عُقْدُهُ كُلُّهَا ، فَأَضْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ ، وَإِلَّا أَضْبَحَ خَبِثَ النَّفْسِ كَسَلَانَ »^(٤).

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « أَيُّهَا النَّاسُ ، أَفْشُوا السَّلَامَ ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامُ ، تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ »^(٥) ، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ

(١ - ٤) متفق عليه.

(٥) رواه أحمد، والترمذي، وابن ماجه، والدارمي، والحاكم، وقال: « صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ». وقال الترمذي: حديث حسن صحيح. كما صححه الألباني في صحيح الجامع، والإرواء، والسلسلة الصحيحة، وصحيح الترغيب. وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط في تحقيق المسند: «إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين».

قال: « أَطِيبِ الْكَلَامَ، وَأَفْسِرِ السَّلَامَ، وَصِلِ الْأَرْحَامَ، وَصَلِّ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسِ نِيَامًا؛ ثُمَّ ادْخُلِ الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ »^(١). وَعَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: « إِنَّ فِي الْجَنَّةِ غُرَفًا يُرَى ظَاهِرُهَا مِنْ بَاطِنِهَا، وَبَاطِنُهَا مِنْ ظَاهِرِهَا، أَعَدَّهَا اللَّهُ تَعَالَى لِمَنْ أَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَأَلَانَ الْكَلَامَ، وَتَابَعَ الصِّيَامَ، وَصَلَّى بِاللَّيْلِ وَالنَّاسِ نِيَامًا »^(٢).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: « أَفْضَلُ الصِّيَامِ بَعْدَ رَمَضَانَ: شَهْرُ اللَّهِ الْمُحَرَّمِ، وَأَفْضَلُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الْفَرِيضَةِ: صَلَاةُ اللَّيْلِ »^(٣). وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: « صَلَاةُ اللَّيْلِ مَثْنَى مَثْنَى، فَإِذَا خِفَتْ الصُّبْحُ فَأَوْتِرْ بِوَأَحِدَةٍ »^(٤) وَعَنْهُ رضي الله عنه قَالَ: (كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ مَثْنَى مَثْنَى، وَيُوتِرُ بِرَكْعَةٍ)^(٥).

وَعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُفْطِرُ مِنْ

(١) رواه ابن حبان، وأبو نعيم في الحلية، عن أبي هريرة. وصححه الألباني في صحيح الجامع.

(٢) رواه أحمد، وابن حبان، والبيهقي، عن أبي مالك الأشعري، ورواه الترمذي عن علي، والطبراني في الكبير، والحاكم عن ابن عمرو، وصححه على شرطهما. وحسنه الألباني في صحيح الجامع، والمشكاة، وصحيح الترغيب. وحسنه أيضًا الشيخ شعيب الأرنؤوط في تحقيق المسند.

(٣) رواه مسلم.

(٤، ٥) متفق عليه.

الشَّهْرِ حَتَّى نَظُنَّ أَلَّا يَصُومَ مِنْهُ، وَيَصُومُ حَتَّى نَظُنَّ أَنْ لَا يُفْطِرَ مِنْهُ شَيْئًا، وَكَانَ لَا تَشَاءُ أَنْ تَرَاهُ مِنَ اللَّيْلِ مُصَلِّيًا إِلَّا رَأَيْتَهُ، وَلَا نَائِيًا إِلَّا رَأَيْتَهُ»^(١).

وَعَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - : (أَنْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يُصَلِّي إِحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً - تَعْنِي فِي اللَّيْلِ - يَسْجُدُ السَّجْدَةَ مِنْ ذَلِكَ قَدْرَ مَا يَقْرَأُ أَحَدَكُمْ خَمْسِينَ آيَةً قَبْلَ أَنْ يَرْفَعَ رَأْسَهُ، وَيَرْكَعُ رَكْعَتَيْنِ قَبْلَ صَلَاةِ الْفَجْرِ، ثُمَّ يَضْطَجِعُ عَلَى شِقِّهِ الْأَيْمَنِ حَتَّى يَأْتِيَهُ الْمُنَادِي لِلصَّلَاةِ)^(٢). وَعَنْهَا - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ: (مَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَزِيدُ فِي رَمَضَانَ وَلَا فِي غَيْرِهِ - عَلَى إِحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً: يُصَلِّي أَرْبَعًا فَلَا تَسْأَلُ عَنْ حُسْنِهِنَّ وَطَوْلِهِنَّ، ثُمَّ يُصَلِّي أَرْبَعًا فَلَا تَسْأَلُ عَنْ حُسْنِهِنَّ وَطَوْلِهِنَّ، ثُمَّ يُصَلِّي ثَلَاثًا، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتَنَامُ قَبْلَ أَنْ تُؤْتِرَ؟ فَقَالَ: « يَا عَائِشَةُ! إِنَّ عَيْنَيَّ تَنَامَانِ وَلَا يَنَامُ قَلْبِي »)^(٣).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: « إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ مِنَ اللَّيْلِ فَلْيَنْتَحِ الصَّلَاةَ بِرَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ ». وَعَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا قَامَ مِنَ

(١، ٢) رواه البخاري.

(٣) متفق عليه.

اللَّيْلِ افْتَحَ صَلَاتَهُ بِرَكَعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ^(١). وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: (صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم لَيْلَةً، فَلَمْ يَزَلْ قَائِمًا حَتَّى هَمَمْتُ بِأَمْرٍ سَوْءٍ، قِيلَ: مَا هَمَمْتَ؟ قَالَ: هَمَمْتُ أَنْ أَجْلِسَ وَأُدْعُهُ)^(٢).

وَعَنْ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه قَالَ: (صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ذَاتَ لَيْلَةٍ فَأَفْتَحَ الْبَقْرَةَ، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ عِنْدَ الْمِائَةِ، ثُمَّ مَضَى، فَقُلْتُ: يُصَلِّي بِهَا فِي رَكَعَةٍ، فَمَضَى، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ بِهَا، ثُمَّ افْتَحَ النِّسَاءَ فَقَرَأَهَا، ثُمَّ افْتَحَ آلَ عِمْرَانَ فَقَرَأَهَا، يَقْرَأُ مَرَّةً سَلَا، إِذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا تَسْبِيحٌ سَبَّحَ، وَإِذَا مَرَّ بِسُؤَالٍ سَأَلَ، وَإِذَا مَرَّ بَتَعْوِذٍ تَعَوَّذَ، ثُمَّ رَكَعَ، فَجَعَلَ يَقُولُ: « سُبْحَانَ رَبِّي الْعَظِيمِ! » فَكَانَ رُكُوعُهُ نَحْوًا مِنْ قِيَامِهِ، ثُمَّ قَالَ: « سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ » ثُمَّ قَامَ طَوِيلًا قَرِيبًا مِمَّا رَكَعَ، ثُمَّ سَجَدَ، فَقَالَ: « سُبْحَانَ رَبِّي الْأَعْلَى » فَكَانَ سَجُودُهُ قَرِيبًا مِنْ قِيَامِهِ)^(٣).

وَعَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ: (سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَيُّ الصَّلَاةِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: « طُولُ الْقُنُوتِ »)^(٤)؛ وَالْمَقْصُودُ بِطُولِ الْقُنُوتِ هُنَا: طُولُ الْقِيَامِ عِنْدَ الْقِرَاءَةِ لِلْقُرْآنِ فِي الصَّلَاةِ، كَمَا شَرَحَهُ النَّوَوِيُّ فِي رِيَاضِ الصَّالِحِينَ.

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -:

(٢) متفق عليه.

(١) رواه مسلم.

(٣) (٤، ٣) رواه مسلم.

أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: « أَحَبُّ الصَّلَاةِ إِلَى اللَّهِ صَلَاةُ دَاوُدَ، وَأَحَبُّ الصِّيَامِ إِلَى اللَّهِ صِيَامُ دَاوُدَ، كَانَ يَنَامُ نِصْفَ اللَّيْلِ وَيَقُومُ ثُلُثَهُ وَيَنَامُ سُدُسَهُ، وَيَصُومُ يَوْمًا وَيُفْطِرُ يَوْمًا »^(١). وَعَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - : (أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَنَامُ أَوَّلَ اللَّيْلِ، وَيَقُومُ آخِرَهُ فَيُصَلِّي)^(٢).

وَعَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: « إِنَّ فِي اللَّيْلِ لَسَاعَةً، لَا يُوَافِقُهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ يَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى خَيْرًا مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ، وَذَلِكَ كُلُّ لَيْلَةٍ »^(٣). وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: « يَنْزِلُ رَبُّنَا كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَاسْتَجِيبْ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأَعْطِيهِ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟ »^(٤). وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ: « إِذَا مَضَى شَطْرُ اللَّيْلِ - أَوْ ثُلُثَاهُ - يَنْزِلُ اللَّهُ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيَقُولُ: هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَيُعْطَى؟ هَلْ مِنْ دَاعٍ فَيُسْتَجَابَ لَهُ؟ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ يُغْفَرُ لَهُ؟ حَتَّى يَنْفَجِرَ الصَّبْحُ »^(٥).

وَعَنْ عَمْرٍو بْنِ عَبْسَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: « أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنَ الرَّبِّ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ، فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ

(١) متفق عليه. (٢) رواه مسلم.

(٣) متفق عليه. (٤) رواه مسلم.

مَنْ يَذْكُرُ اللَّهَ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ فَكُنْ»^(١).

وَعَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا فَاتَتْهُ الصَّلَاةُ مِنَ اللَّيْلِ مِنْ وَجَعٍ أَوْ غَيْرِهِ، صَلَّى مِنْ النَّهَارِ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ رُكْعَةً)^(٢). وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ؓ أَنْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ نَامَ عَنْ حِزْبِهِ، أَوْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ، فَقَرَأَهُ فِيمَا بَيْنَ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَصَلَاةِ الظُّهْرِ، كُتِبَ لَهُ كَأَنَّمَا قَرَأَهُ مِنَ اللَّيْلِ»^(٣)، وَالْمُرَادُ بِقِرَاءَةِ الْحِزْبِ هُنَا: التَّهَجُّدُ بِالْقُرْآنِ.

وَعَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِذَا نَعَسَ أَحَدُكُمْ فِي الصَّلَاةِ فَلْيَرْقُدْ حَتَّى يَذْهَبَ عَنْهُ النَّوْمُ، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا صَلَّى وَهُوَ نَاعِسٌ لَعَلَّهُ يَذْهَبُ يَسْتَفِيرُ فَيُسَبِّ نَفْسَهُ»^(٤).
وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ؓ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ مِنَ اللَّيْلِ فَاسْتَعْجَمَ الْقُرْآنُ عَلَى لِسَانِهِ»^(٥)، فَلَمْ يَذِرْ مَا يَقُولُ، فَلْيَضْطَجِعْ!»^(٦).

(١) رواه أبو داود، والترمذي، واللفظ له، وقال: «حديث حسن صحيح». كما رواه الحاكم وقال: «صحيح على شرط مسلم». ثم صححه الألباني في صحيح الترغيب، والمشكاة، والكلم الطيب، وصحيح أبي داود والترمذي.

(٢) (٣٠٢) رواه مسلم.

(٤) متفق عليه.

(٥) استعجم عليه القرآن: استغلق عليه، ولم ينطق به لسانه لغلبة النعاس!

(٦) رواه مسلم.

البيان الرابع عشر

في أن الخشوع هو روح الصلاة وجوهرها
 فهن أضعاء فقد أضعاء!
 وإنما بخشوع العبد في صلاته - قنوتاً في
 أفعالها، وشهوداً لهناجاة ربه بأقوالها - تكون
 للصلاة فائدتها الروحية والتربوية، وكذا أجزائها
 وقبولها عند الله ﷻ وبقدرها ينقص العبد من
 خشوعها تنقص فائدتها وأجزائها، حتى لا يبقى له من
 ذلك شيء والعياذ بالله!



قال رَبُّ الرَّحْمَةِ جَلَّ ذِكْرُهُ وَشَاوَهُ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ①
 الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ١، ٢]. وقال سبحانه:
 ﴿وَأَسْتَمِعُونَ بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾
 [البقرة: ٤٥]. وقال ﷻ: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ
 الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨].

هكذا أمر الله ﷻ بالصلاة خشوعاً وقنوتاً، وإنما حقيقة
 الصلاة الحضور مع الله، والاستغراق الكلي في مناجاته،

كما في حديث النبي ﷺ: « إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا قَامَ فِي صَلَاتِهِ فَإِنَّهُ يُنَاجِي رَبَّهُ »^(١)؛ وإنما المناجاةُ شُهُودُ الْعَبْدِ لِرَبِّهِ فِي صَلَاتِهِ، وَتَلَقُّهُ لِكَلِمَاتِ الْمَحَبَّةِ مِنَ الرَّحْمَنِ - كما سيأتي تفصيله في البيان الآتي - وهو عين الخشوع! فأبي غياب عن شهود تلك الحقائق الإيمانية، بالانسياق إلى متهاتات الشرود، أو الخروج عن شيء من أفعال الصلاة، أو الأداء السريع جدًا لأفعالها؛ بما يخرجها عن طمأنينتها وسكينتها؛ فإنه يكون مفسدًا لخشوعها، وحاجبًا لأنوارها وبركاتها، ثم مانعًا لأجرها وقبولها!

ويكفي من البيانات النبوية في التحذير من هذا الخلل الخطير حديثان عظيمان، هما محور حقيقة الخشوع في الصلاة! فأما الأول فهو حديثُ الْمُسَيَّبِ صَلَاتِهِ، المشهور لدى الفقهاء والمحدثين؛ حيث أبطل النبي ﷺ صلاة من دخل المسجد، فصلها بعجلة مفتونة، ونقرها نقر الغراب؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَخَلَ الْمَسْجِدَ، فَدَخَلَ رَجُلٌ فَصَلَّى، ثُمَّ جَاءَ فَسَلَّمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَرَدَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ السَّلَامَ، وَقَالَ: « ازْجِعْ فَصَلَ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ » فَرَجَعَ الرَّجُلُ فَصَلَّى كَمَا كَانَ صَلَّى، ثُمَّ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « وَعَلَيْكَ السَّلَامُ، ازْجِعْ

(١) متفق عليه.

فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ! .. حَتَّى فَعَلَ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ! فَقَالَ الرَّجُلُ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا أَحْسِنُ غَيْرَ هَذَا! عَلَّمَنِي! قَالَ ﷺ: « إِذَا قُمْتَ إِلَى الصَّلَاةِ فَكَبِّرْ، ثُمَّ اقْرَأْ مَا تيسَّرَ مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ، ثُمَّ ازْكَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ رَاكِعًا، ثُمَّ ازْفَعْ حَتَّى تَعْتَدِلَ قَائِمًا، ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ سَاجِدًا، ثُمَّ ازْفَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ جَالِسًا، ثُمَّ افْعَلْ ذَلِكَ فِي صَلَاتِكَ كُلِّهَا »^(١).

فأنت ترى كيف كان يقول له في كل إعادة: « إزجع فصلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ » نافيًا عن فعله حقيقة الصلاة! بسبب أدائه السريع لأفعالها، وعدم تخشعه فيها، وغياب اطمئنانه في ركوعها وسجودها، وجلوسها وقيامها، وتلاواتها وأذكارها، وسائر أفعالها وأقوالها! ولذلك لما جعل النبي ﷺ يعلمه الصلاة الصحيحة التامة؛ كان يُلزمه بالاطمئنان في كل هيئة من هيئاتها؛ لأن الطمأنينة أو السكينة هي مَظَنَّةُ الخشوعِ وَمَنَاطَةٌ. فلا خشوع بغير طمأنينة وسكينة وهدوء!

وللحديث روايات أخرى فيها زيادات صحيحة؛ منها قوله ﷺ: « حَتَّى تَطْمَئِنَّ مَفَاصِلُهُ وَتَسْتَرْخِي »^(٢)، ومنها قوله ﷺ: « حَتَّى تَرْجِعَ الْعِظَامُ إِلَى مَفَاصِلِهَا »^(٣).

(١) متفق عليه.

(٢) رواه النسائي، وصححه الألباني في صحيح سننه، وفي صفة الصلاة.

(٣) رواه أحمد، وصححه الألباني في صفة الصلاة، وشعيب الأرنؤوط في تحقيق المسند.

وأما الحديث الثاني فهو حديث التحذير من خطر الشرود في الصلاة، مما قد يقع للمصلي عند الاستجابة لوسوسة الشيطان فيها، والتمادي في متابعة شريط الخيال الشيطاني؛ بما يُخرج المؤمن عن شهود صلاته، ويحجب قلبه عن حضوره فيها، ويتيه به في خواطر دنيوية فاسدة؛ حتى إنه قد لا يدري ما يفعل في صلاته ولا ما يقول! وما ينتقصه ذلك كله من حسناته في أجرها! حتى إذا استغرقه الشرود في صلاته كلها بطلت كلها! وكانت كغوا! وهو ما رواه الصحابي الجليل عمار بن ياسر رضي الله عنه في حديث مخيف، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: « إِنَّ الْعَبْدَ لَيَصِلِي الصَّلَاةَ مَا يُكْتَبُ لَهُ مِنْهَا إِلَّا عَشْرُهَا، تُسْعُهَا، تُمْنُهَا، سُبُعُهَا، سُدُسُهَا، حُمُسُهَا، رُبُعُهَا، ثُلُثُهَا، نِصْفُهَا »^(۱).

وهذان الحديثان يفسر بعضهما بعضاً، ويكمل أحدهما الآخر؛ بما يفيد أن المستعجل في صلاته إنما يبقى له من أجرها ما لم يستعجل فيه، وتحقق فيه بالطمأنينة والخشوع! وأما ما أداه بغير طمأنينة وخشوع، من ركوع أو سجود، أو تلاوة أو تشهد؛ فكأنها هو فعلٌ اقتطع من صلاته! ورُبَّ

(۱) رواه أحمد، وأبو داود، والنسائي في الكبرى، وابن حبان، وأبو يعلى، والبيهقي في الكبرى وفي الشعب. وحسنه الألباني في صحيح الجامع، وصحيح الترغيب، وصحيح أبي داود، وصفة الصلاة. بينها صححه في صلاة التراويح. كما صحح الشيخ شعيب الأرنؤوط سند أحمد مطلقاً.

صلاة تُقْتَطَعُ أجزاءؤها جزءًا جزءًا؛ حتى ما يبقى لصاحبها
منها شيء! نسأل الله السلامة والغفران، ونعوذ به من
الخسران والخذلان!

ومن ثم فقد وجب على العبد أن يجاهد نفسه في صلاته
للتحقق بأمرين؛ الأول: صَبْرُ النفسِ على الرَّوِيَّةِ والهدوء في
أفعال الصلاة وهيئاتها، والتزام السكينة والطمأنينة فيها.
والثاني: صبر النفس على التحقق بمعاني الكلمات في أقوال
الصلوات، من تلاوات وتسيحات، وتكبيرات وتحميدات،
وتحيات وتشهدات، ومآثر ما فيها من أدعية وأذكار. فمن
فعل ذلك رَجَا أن يكون - إن شاء الله - من الخاشعين في
الصلاة، وأن يشمله المدح الإلهي الكريم، والثناء الرباني
العظيم، من قوله تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي
صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾ [المؤمنين: ١، ٢]. جعلني الله وإياكم منهم
بفضله ورحمته، آمين!

البيان الخامس عشر

في أن الصلاة عهوها - نفلتها وفريضتها - تعريفٌ
 بالله ﷻ وهي شفاء للنفس، وتغذية للقلب،
 وقوة للبدن، وهراج للروح، وباب للتوبة إلى الله،
 وأنها ملجأ المؤمن ساعة الشدة، وبالذخول الخاشع
 فيها تنفتح أبواب الفرَج!



قال تعالى: ﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى
 الْخَاشِعِينَ ﴾ [البقرة: ٤٥، ٤٦]. وقال سبحانه: ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا
 بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ [البقرة: ١٥٣]. وقال سبحانه
 لرسوله ﷺ لما منعه أبو جهل من الصلاة في البيت الحرام:
 ﴿ كَلَّا لَا تَطْعَمُهُ وَأَسْبَجِدُ وَأَقْتَرِبُ ﴾ [العلق: ١٩]. وفي الآيات دلالة على
 أن الصلاة سَيْرٌ يُقَرَّبُ العبدَ من رَبِّهِ، ويجعله في جِمَاهُ
 وحفظه. وأنها تقوي عزيمة المسلم على مواجهة الشدائد،
 وتمد صبره بالقوة وطولِ النَّفْسِ!

ذلك أن العبد إذا توجهاً فأحسن الوضوء، ثم قام فكبر،

ودخل في الصلاة مُقْبِلًا عَلَى اللَّهِ بِكُلِّيَّتِهِ، أَقْبَلَ الرَّبُّ الْكَرِيمَ عَلَيْهِ، فَجَعَلَ ﷺ يَتَلَقَى مِنْهُ تِلَاوَتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَدُعَاءَهُ؛ فَيَزُوْدُهُ تَعَالَى بِأَلْهَدَى وَالسَّدَادِ، وَيَحْرَسُهُ بِمَلَائِكَتِهِ، وَلَا يَرُدُّ لَهُ دُعَاءَ خَيْرٍ، فَيَدْخُلُ الْعَبْدُ بِذَلِكَ فِي مَنَاجَاةٍ خَالِصَةٍ مَعَ الرَّحْمَنِ! فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: « إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا قَامَ فِي صَلَاتِهِ فَإِنَّهُ يُنَاجِي رَبَّهُ »^(١)؛ وَالمَنَاجَاةُ: خُطَابُ الْقُرْبِ وَالْمَحَبَةِ! وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَعَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: « إِنَّ الْمَصْلِيَّ يُنَاجِي رَبَّهُ، فَلْيَنْظُرْ بِمَنْ يَنَاجِيهِ! وَلَا يَجْهَرْ بِعَضْمِكُمْ عَلَى بَعْضِ الْقُرْآنِ »^(٢).

وقد ورد تفصيل مَدَارِ المَنَاجَاةِ بَيْنَ الْعَبْدِ وَرَبِّهِ فِيهَا يَرُوْهُ أَبُو هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ، قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ:

« قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ...! »

فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: ﴿ اَلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: حَمِدَنِي عَبْدِي!

(١) متفق عليه.

(٢) رواه مالك، وأحمد، والنسائي في الكبرى، والبيهقي في الشعب، كلهم عن البياضي مرفوعاً، ورواه أحمد عن ابن عمر مرفوعاً. ورواه الطبراني عن أبي هريرة وعائشة مرفوعاً. وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع، والسلسلة الصحيحة، وصفة الصلاة، والمشكاة. وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط في تحقيق المسند: إسناده صحيح.

وَإِذَا قَالَ: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَتْنَى عَلَيَّ عَبْدِي!
وَإِذَا قَالَ: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ قَالَ: مَجْدِي عَبْدِي! وَقَالَ مَرَّةً:
فَوَضَّ إِلَيَّ عَبْدِي!

فَإِذَا قَالَ: ﴿إِنَّا تَبَتُّهُ وَإِنَّا نَسْتَعِيبُ﴾ قَالَ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ
عَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ!

فَإِذَا قَالَ: ﴿أَمِيدَنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ① صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ
الْمَغضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ قَالَ: هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ^(١).

فإذا ركع العبد شعر بعظمة الرب ﷻ؛ فجعل يسبح
بحمد ربه وتعظيمه، وينال من فضله وجوده! حتى إذا سجد
ووضع جبهته على الأرض وما يتبعها من أعضاء؛ ارتقى
بأشواقه في معارج الروح إلى منازل المحبة! ولا يزال يرتقي
ما دام ساجداً؛ حتى يكون قريباً.. قريباً من مشاهد الجمال
والجلال! هنالك تتدفق عليه شلالات الرحمة بالرضا
والغفران، فتتناثر ذنوبه من فوق رأسه، وتَسَاقُطُ عنه الهموم
والأحزان كما تَسَاقُطُ أوراق الشجر! ويشهد في دعائه قضاء
حاجاته، وانكشاف همومه، وذهاب أحزانه، وانفراج كروبِهِ
وضائقته. فلا يخرج من صلاته تلك إلا وقد امتلأ قلبه
سكينةً و يقيناً! فالسجود لله حقاً هو باب الفرج! فعن

أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ؛ فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ»^(١) يعني في السجود.

ومن هنا كانت الصلاة - وهي حق الله العظيم أولاً وقبل كل شيء - مَلْجَأَ المكروبين والمهمومين، ما دخلها عبداً مغموم فدعا الله بصديق وإخلاص إلا فَرَّجَ اللهُ كربه، وكشف غمه، وقضى -تاجته! لِمَا في الصلاة من اتصال تعبدي بالله، وتزود من أنوار أسماائه الحسنی، وتَلَقُّ لحقائق الإيمان، وغذاء الروح الوارد من معين الجمال والجلال! فلا أَقْوَى آتئذ من عبد سجد لله رب العالمين.

وقد ثبت أن النبي - عليه الصلاة والسلام - ما نزلت به ضائقة إلا فَرَعَ إلى الصلاة! فعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ: (كَانَ إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ صَلَّى) ^(٢) وَرُوِيَ أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - نُعِيَ إِلَيْهِ أَخُوهُ وَهُوَ فِي سَفَرٍ، فَاسْتَرْجَعَ ثُمَّ تَنَحَّى عَنِ الطَّرِيقِ، فَأَتَاخَ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ أُطَالَ فِيهِمَا الْجُلُوسَ ثُمَّ قَامَ يَمْشِي إِلَى رَاحِلَتِهِ وَهُوَ يَقُولُ: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٥] ^(٣).

وَمِنْ ثَمَّ فَمَنْ سَارَ بِالصَّلَاةِ إِلَى اللَّهِ، مَتَعْبِدًا بِفَرَائِضِهَا

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه أحمد، وأبو داود، والبيهقي في الشعب. وحسنه الألباني في صحيح الجامع، وصحيح أبي داود. بينما ضعفه الشيخ شعيب الأرنؤوط.

(٣) أورده ابن كثير عند تفسيره للآية، ومعنى «أتاخ» : «أجلس ناقته أو بعيره وجعله يبرك على الأرض».

ونوافلها، بلغ رتبة الولاية بإذن الله، وأصبح من أهل الله وخاصة؛ فكان عبدًا مُجَابَّ الدعاء، مُحْمِيًّا بحفظ الله وأمانه، محروسًا بِمَسْلَحَتِهِ الملائكية، لَيْلُهُ ونهاره! فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنَنِي بِالْحَرْبِ! وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ بِمَا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّىٰ أَحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَنْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا! وَإِنْ سَأَلَنِي لِأَعْظِيَّتِهِ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لِأَعِيدَتِهِ»^(١)، فَمَنْ أَقْوَى فِي الْأَرْضِ أَوْ آمَنَ مِنْ عَبْدٍ هَذَا شَأْنُهُ؟

وليست الولاية من الأمانى الصعبة ولا من المنازل المستحيلة! لا تفزعك ذنوبك وخطاياك مهما أسرفت على نفسك! ولا ترهبك إلى درجة القنوط! نعم؛ شيء حَسَنٌ جميل - بل واجبٌ - أن تبكي على ذنوبك وخطاياك، لكن بكاءً إشفاقٍ وأمل، لا بكاءً يأس وقنوط؛ إذ لا يزيدك بُكَاءُ الإشفاق عند الله إِلَّا رَحْمَةً وَقَرَبًا.

ولكن لا يجوز أن تصبح الخطايا في النفس حصارًا بينك وبين التوبة، أو مانعًا من الدخول في العمل الصالح، أو السعي لنيل المنازل العالية والدرجات الرفيعة عند الله!

(١) رواه البخاري.

أَو لَيْسَ اللَّهُ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا وَلَوْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ؟
 بَلَى! بَلَى! فَذَلِكَ قَوْلُهُ الصَّرِيحُ الْمَلِيحُ: ﴿قُلْ يَتَّبِعَادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا
 عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ
 هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

فالدين يُسْرُّ والحمد لله، وبركعتين خالصتين لله، بعد
 توبة نصوح، ينال العبد الرضا والسلام من الله، ويكون
 من أهل الجنة، إن شاء الله! فعن عقبة بن عامر رضي الله عنه أن
 رسول الله ﷺ قال: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَتَوَضَّأُ فَيُحَسِّنُ وُضُوءَهُ،
 ثُمَّ يَقُومُ فَيُصَلِّي رَكَعَتَيْنِ يُتَنَبَّلُ عَلَيْهِمَا بِقَلْبِهِ وَوَجْهِهِ إِلَّا وَجَبَتْ لَهُ
 الْجَنَّةُ!»^(١) بل بمجرد وُضُوءٍ وَاحِدٍ مُتَّقِنٍ يَغْفِرُ لَكَ الرَّحْمَنُ
 مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ! وذلك ما ستراه بدليله في
 هذا البيان الأخير بحول الله.

البيان السادس عشر

في أن الوضوء مغفرة ونور، وجهال للروح والبدن،
وحيّة للمؤمن في الآخرة!



قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَٰكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿المائدة: ٦﴾ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ؓ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ أُمَّتِي يُدْعَوْنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ غُرًّا مُحَجَّلِينَ»^(١) مِنْ آثَارِ الْوُضُوءِ، فَمَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يُطِيلَ غُرَّتَهُ فَلْيَفْعَلْ»^(٢). وَعَنْهُ ؓ قَالَ:

(١) الغرّة: بياض في جبهة الفرس، والتّحجيل: بياض في أقدامه، والمقصود نور الوضوء المشع من الأيدي والوجوه والأقدام.

(٢) متفق عليه.

سَمِعْتُ خَلِيلِي ﷺ يَقُولُ: « تَبْلُغُ الْحَلِيَّةُ مِنَ الْمُؤْمِنِ حَيْثُ يَبْلُغُ
 الْوُضُوءُ »^(١). وَعَنْهُ أَيْضًا ﷺ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَتَى الْمَقْبَرَةَ
 فَقَالَ: « السَّلَامُ عَلَيْكُمْ ذَاكَ قَوْمٌ مُؤْمِنِينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ
 لِأَحِقُونَ. وَوَدِدْتُ أَنَا قَدْ رَأَيْنَا إِخْوَانَنَا » قَالُوا: أَوْ لَسْنَا إِخْوَانَكَ
 يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: « أَنْتُمْ أَصْحَابِي، وَإِخْوَانُنَا الَّذِينَ لَمْ
 يَأْتُوا بَعْدُ » قَالُوا: كَيْفَ تَعْرِفُ مَنْ لَمْ يَأْتِ بَعْدُ مِنْ أُمَّتِكَ
 يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: « أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ رَجُلًا لَهُ خَيْلٌ غُرٌّ مُحَجَّلَةٌ
 بَيْنَ ظَهْرِي خَيْلٍ دُهِمٍ بِهِمْ^(٢)، أَلَا يَعْرِفُ خَيْلَهُ؟ » قَالُوا: بَلَى
 يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: « فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنَ الْوُضُوءِ،
 وَأَنَا فَرَطُهُمْ عَلَى الْحَوْضِ »^(٣).

وَعَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: « مَنْ تَوَضَّأَ
 فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ، خَرَجَتْ خَطَايَاهُ مِنْ جَسَدِهِ حَتَّى تَخْرُجَ مِنْ
 تَحْتِ أَظْفَارِهِ »^(٤). وَعَنْهُ ﷺ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ
 تَوَضَّأَ مِثْلَ وَضُوءِي هَذَا، ثُمَّ قَالَ: « مَنْ تَوَضَّأَ هَكَذَا غُفِرَ لَهُ مَا
 تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَكَانَتْ صَلَاتُهُ وَمَشِيئُهُ إِلَى الْمَسْجِدِ نَافِلَةً »^(٥)
 ومعنى كون صلاته ومشيئه نافلة هنا: أنها فضلٌ زائد في الأجر؛
 لأنه قد غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه بمجرد وضوئه!

(١) رواه مسلم.

(٢) دُهِمٌ: سُودٌ. جمع أدهم. وبُهْمٌ: جمع بهيم؛ وهو الذي لا يخالط لونه لون سواه.

(٣ - ٥) رواه مسلم.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: « إِذَا تَوَضَّأَ الْعَبْدُ الْمُسْلِمُ - أَوْ الْمُؤْمِنُ - فَغَسَلَ وَجْهَهُ، خَرَجَ مِنْ وَجْهِهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ نَظَرَ إِلَيْهَا بِعَيْنَيْهِ مَعَ الْمَاءِ، أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ، فَإِذَا غَسَلَ يَدَيْهِ خَرَجَ مِنْ يَدَيْهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ كَانَ بَطَشَتْهَا يَدَاهُ مَعَ الْمَاءِ، أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ، فَإِذَا غَسَلَ رِجْلَيْهِ خَرَجَتْ كُلُّ خَطِيئَةٍ مَسَّتْهَا رِجْلَاهُ مَعَ الْمَاءِ، أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ، حَتَّى يَخْرُجَ نَقِيًّا مِنَ الذُّنُوبِ »^(١).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَيضًا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: « أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟ »
 قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: « إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ! فَذَلِكَ مِنَ الرَّبَاطِ، فَذَلِكَ الرِّبَاطُ »^(٢).

وَعَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: « الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ »^(٣) وَهُوَ الْوُضُوءُ. وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: « مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيَبْلُغُ - أَوْ - فَيُسْبِغُ الْوُضُوءَ، ثُمَّ يَقُولُ: أَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ؛ إِلَّا فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ »^(٤) تِلْكَ

رواية مسلم، وعند الترمذي زيادة حسنة، هي قوله ﷺ
 بعد التشهد: «اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ التَّوَّابِينَ! وَاجْعَلْنِي مِنَ
 الْمُتَطَهِّرِينَ»^(١).

أما بعد؛ فيا أيها الفتى الحزين!.. هذه بشائر الأذان
 تطرق قلبي وقلبك، فلتتوضأ جميعاً للصلاة؛ عسى أن نكون
 من التوابين ونكون من المتطهرين!

(١) رواه الترمذي. وحسنه الألباني في صحيح الترغيب.



ونختم هذه الرسالة بحديث عظيم، جمع فيه النبي ﷺ كلَّ حقائق الإيمان، ورسم فيه الطريق السالكة إلى الله بوضوح جميل! وإننا لنحسب أن من تمسك بمعامله الكبرى نَجَا، وكان - إن شاء الله - من الفائزين! فهو رغم قصره يتضمن برنامجاً تربوياً كاملاً، ومسلماً ربانياً شاملاً، يضمن للعبد السالك الوصوَّ السريع إلى الله بإذن الله. ولكن بشرط التزام الصدق والإخلاص، عند التخلق بكل خصلة من خصاله، ولدى التحقق بكل وصية من وصاياه. والحدِيث هو:

عن مُعَاذٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: (كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفَرٍ، فَأَصْبَحْتُ يَوْمًا قَرِيبًا مِنْهُ، وَنَحْنُ نَسِيرُ.. [وفي صيغة أخرى آيِنُ] قَالَ: أَقْبَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُ خَلِيًّا..

- قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ وَيُبَاعِدُنِي مِنَ النَّارِ؟

- قَالَ: « بَيْحٌ! لَقَدْ سَأَلْتَ عَن عَظِيمٍ! وَإِنَّهُ لَيْسِيرٌ عَلَيَّ مَنْ يَسْرُهُ

اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ: تَعْبُدُ اللَّهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ، وَتَحُجُّ الْبَيْتَ « ثُمَّ قَالَ: « أَلَا أَدُلُّكَ عَلَىٰ أَبْوَابِ الْخَيْرِ؟ الصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ، وَصَلَاةُ الرَّجُلِ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ، ثُمَّ تَلَا: ﴿ نَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ ﴾ حَتَّىٰ بَلَغَ ﴿ يَمْلَأُونَ ﴾ [السجدة: ١٦، ١٧].

- ثُمَّ قَالَ: « أَلَا أَخْبِرُكَ بِرَأْسِ الْأَمْرِ، وَعَمُودِهِ، وَذِرْوَةِ سَنَامِهِ؟ »

- قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ!

- قَالَ: « رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ »

- ثُمَّ قَالَ: « أَلَا أَخْبِرُكَ بِمَلَاكٍ ذَلِكَ كُلُّهُ؟ »

- قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ!

- فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ وَقَالَ: « كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا »

- قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَإِنَّا لَمَوْأخِدُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟

- فَقَالَ: « نِكَلْتَنكَ أُمَّكَ يَا مُعَاذُ! وَهَلْ يَكُفُّ النَّاسَ فِي النَّارِ

عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَّا حَصَايِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟ »^(١).

(١) رواه أحمد، والترمذي، وابن ماجه، والحاكم، والبيهقي، والطبراني. وقال الترمذي: حديث حسن صحيح. وصححه بطرقه الشيخ الألباني في صحيح =

وفقني الله وإياك إلى الهدى والسداد، وجعلنا ممن
يستمعون القول فيتبعون أحسنه، ونجانا برحمته من عذابه!
وجعلنا من عباده المكرمين، آمين!

قال عبد ربه راجي عفوه وغفرانه،

فريد بن الحسن الأنصاري الخزرجي

عفا الله عنه وغفر له ولوالديه، ولكافة المسلمين:

هذا ما يسر الله تقيده بهذه الرسالة الصغيرة،

سائلًا المولى - جلّت عظمته - أن يبارك فيها وينفع بها،

وأن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل، وأن يقوي عزائمنا

وأبداننا على العبادات والطاعات! وكان تمام تصحيحه

وتنقيحه بمكناسة الزيتون، حاضرة المغرب الأقصى،

(يوم الاثنين ٢٧ شوال ١٤٢٩ هـ ،

الموافق لـ: ٢٧ أكتوبر ٢٠٠٨ م)

وصلى الله على سيدنا محمد

وعلى آله وصحبه وسلم.



= الجامع، وفي السلسلة الصحيحة، وصحيح الترغيب، وصحيح الترمذي وابن
ماجه. كما صححه بطرقه أيضًا الشيخ شعيب الأرنؤوط في تحقيقه للمسند.